



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



المستوى: السنة الثانية تاريخ عام
المقياس: النهضة الأوربية
السداسي: الرابع

قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

مطبوعة محاضرات في مقياس النهضة الأوربية
مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ عام
نظام (ل.م.د)

إعداد الدكتور / مبروك بن مسعود

السنة الجامعية: 2025/2024

السداسي: الرابع

عنوان الوحدة: تعليم استكشافية

المادة: النهضة الأوروبية

أهداف التعليم:

(ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة

أسطر على الأكثر)

تهدف هذه المادة إلى منح الطالب ثقافة عامة منسجمة مع تخصصه، لتساعده على فهم الأحداث التاريخية والتفاعلات الفكرية.

(وصف تفصيلي للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين

على الأكثر)

يشترط في الطالب لمتابعة هذا التكوين أن يكون على دراية بواقع أوروبا في العصر الوسيط في جميع المجالات، إضافة إلى ضرورة تحكمه في لغة أجنبية واحدة على الأقل.

محتوى المادة:

1-الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة

2-تعريف النهضة وعوامل قيامها

3-النهضة الأدبية الفنية – الفكرية والعلمية – الاقتصادية

4-نتائجها وخصائصها

5-الحركة الإنسانية والإصلاح الديني

طريقة التقييم:

الامتحان. 100%

المراجع: (كتب ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

-عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت.

-نور الدين حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية ،دار الفكر بيروت .

-محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت.
-جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

-Brotton, Jerry, he Renaissance: A Very Short Introduction

-Burke, Peter, The European Renaissance: Centre and Peripheries

-Stephen, John, the Italian Renaissance: The Origins of Intellectual
and Artistic Change before the Renaissance



2023 4/5 20

ملحق القرار رقم 896 المؤرخ في

الذي يحدد برنامج التعليم لنيل شهادة الليسانس

في ميدان "علوم إنسانية واجتماعية"، فرع "علوم إنسانية - تاريخ"، تخصص "تاريخ عام"

السداسي 4:

نوع التقييم	مراقبة مستمرة	أخرى *	الحجم الساعي للسداسي (15 أسبوع)	الحجم الساعي الأسبوعي			المعامل	الأرصدة	عناوين المواد	وحدات التعليم
				أعمال تطبيقية	أعمال موجهة	دروس				
60%	40%	00سا45	00سا45	-	30سا1	30سا1	2	5	تاريخ وحضارة المغرب القديم 2	وحدة تعليم أساسية الرمز: وت أس 2.2 لأرصدة: 20 للمعامل: 8
60%	40%	00سا45	00سا45	-	30سا1	30سا1	2	5	المشرق الإسلامي ما بين القرنين (2 - 7 هـ / 8 - 13 م)	
60%	40%	00سا45	00سا45	-	30سا1	30سا1	2	5	الحركات المذهبية وتطورها في المشرق والمغرب الإسلاميين	
60%	40%	00سا45	00سا45	-	30سا1	30سا1	2	5	تاريخ الجزائر الثقافي 2	
60%	40%	00سا45	00سا45	-	30سا1	30سا1	2	3	منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2	وحدة تعليم منهجية الرمز: وت م 2.2 لأرصدة: 4 للمعامل: 3
100%	-	00سا45	30سا22	-	-	30سا1	2	3	دراسة وتحليل نصوص تاريخية	
100%	-	00سا45	30سا22	-	-	30سا1	1	1	النهضة الأوروبية	وحدة تعليم استكشافية الرمز: وت إس 2.2 لأرصدة: 2 للمعامل: 2
100%	-	00سا45	30سا22	-	-	30سا1	1	1	تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء	
100%	-	00سا45	30سا22	-	-	30سا1	1	1	جغرافيا بشرية	وحدة تعليم أفقية الرمز: وت أف 2.2 لأرصدة: 2 للمعامل: 2
-	100%	00سا45	30سا22	-	30سا1	-	1	1	لغة أجنبية	
		00سا450	30سا337		00سا9	30سا13	16	30	مجموع السداسي الرابع	

*أخرى: عمل إضافي عن طريق المشاور السداسي.

مقدمة

لم تكن نهضة المجتمع الأوربي في القرن الخامس عشر الميلادي، نهضة وليدة الصدفة فحسب، بل كانت نتيجة لحركة شهدتها المجتمع اللاتيني خلال الثلاثة قرون السابقة في مناحي الحياة. وهذا طبيعي أن يكون في مجتمع يتوق لما هو أفضل. والمجتمع اللاتيني شهد في القرن الثاني عشر الميلادي (نأخذ مثالا لا على سبيل الحصر) ظهور الجامعات، التي تعبر عن مدى سعيه الحثيث للحصول على العلوم والمعارف من مختلف مصادرها، وتأسيس جامعات تكون منارة يُهتدى بها في ظلمات العصور الوسطى.

وقد كانت الحضارة الإسلامية ومختلف منجزاتها، بمثابة الرحيق الذي استقى منه المجتمع اللاتيني علومه ومعارفه، وكانت لبنة أولى على أساسها قامت نهضته العلمية والفكرية، فالمجتمع اللاتيني كانت له مبادرات تعد سابقة لزمانها، إذ أنه شهد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ترجمة لعلوم الأولين إلى اللغة اللاتينية، وخاصة العلوم العربية الإسلامية. وبذلك تشكل له رصيد علمي وفكري اختصر به طول الطريق نحو مستقبل أفضل.

وفي مقياس النهضة الأوربية الحديثة سنحاول تقديم محاور تتعلق بهذه الوحدة الاستكشافية، من خلالها يتعرف الطالب على المجتمع اللاتيني وما أنجزه في تلك المرحلة المفصلية في تاريخه:

- الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة
- النهضة وعوامل قيامها
- النهضة الأدبية الفنية - الفكرية والعلمية - الاقتصادية
- مظاهرها وخصائصها
- نتائج النهضة الأوربية
- الحركة الإنسانية والإصلاح الديني

المحاضرة 1: الأوضاع السياسية والعسكرية في الغرب اللاتيني خلال العصور الوسطى

1- سقوط العاصمة روما وأثره على مركزية الحكم:

تعد سنة 476م نقطة تحول في تاريخ الغرب اللاتيني، حيث سقطت روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية¹ على يد القبائل الجرمانية، وخلالها تم عزل الإمبراطور الروماني رومولس اغسطولس Romulus Ogustulus ونفيه خارج عاصمة ملكه. وبهذا ينتهي عصر الحكم المركزي في الغرب، ليدخل الغرب في مرحلة جديدة سميت بالعصور الوسطى، وبهذا تجد الكنيسة نفسها على ساحة الأحداث بدون منازع، ويصبح البابا السيد الأقوى في الغرب.

وهكذا سارت الأمور على ما يرام وتحققت للبابوية سيادتها في صورة فعلية عالمية في عهد البابا غريغوري الأول (العظيم)، الذي اعتلى عرش البابوية بين سنتي (590-604م)⁽²⁾. وتستمر إلى غاية القرن الخامس عشر الميلادي، حينها يدخل المجتمع اللاتيني في مرحلة جديدة أُطلق عليها عصر النهضة، خلالها يشهد الغرب الأوربي تحولا سياسيا وعلميا وفكريا وثقافيا واقتصاديا ودينيا.

2- توسع الجرمان في الغرب اللاتيني:

لم يعرف الغرب اللاتيني الاستقرار منذ أن سقطت العاصمة روما، حيث انتشرت القبائل الجرمانية في الغرب وبدأت عمليات السلب والنهب، ودخل الغرب في اضطرابات، في حين سعى قادة بعض القبائل الجرمانية إلى تأسيس كيانات سياسية³. وتعد الفترة الممتدة بين سنتي 455 و 476م أي من مقتل الإمبراطور الروماني

¹ لمعرفة حدود الإمبراطورية الرومانية وجيرانها في القرن الرابع انظر: الملحق 1.

² سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، 1976، بيروت، لبنان، ص.52.

³ انظر: الملحق 2.

فالنتيان الثالث Valetien III إلى سقوط روما في يد الجرمان من أحلك الفترات في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، إذ أصبحت إيطاليا في أيدي قادة الجرمان، وأصبح أباطرة الرومان ألعية في يد هؤلاء يولونهم ويعزلونهم كيفما شاءوا، وانتهى الأمر بدخول أودواكر Odoacre (ت.493م) زعيم الهيرول إلى رافنا Rvenna وقيامه بعزل الإمبراطور رومولس أوغسطولس ونفيه إلى جنوب إيطاليا⁽¹⁾.

ومن هنا سيعرف الغرب اللاتيني قيام كيانات سياسية ذات العرق الجرمانى تتمثل في الفرنجة، الذين حملوا على عاتقهم توحيد عدة عناصر جرمانية وغيرها تحت راية حكم الفرنجة، ومن أولى هذه الكيانات نجد الميروفنجيين ومن بعدهم الكارولنجيين الذين امتد نفوذهم طيلة قرون، وبذلك كان إرهابا بميلاد دول أوربا الحديثة في القرون اللاحقة.

3- تأسيس كيانات سياسية جرمانية:

أ- الأسرة الميروفنجية (482-751م):

تنسب الأسرة الميروفنجية إلى ميروفك Merovech، وهو الجد الأكبر للفرنجة (حسب الأسطورة) ويمتد وجود هذه الأسرة من سنة 431م أو سنة 482م إلى غاية سنة 751م، وأول ملوكهم حسب ما ذكر هو كلوديو Clodio الذي قام بمهاجمة مدينة كلوني Cluny سنة 431م، ولكنه انهزم على يد الرومان بقيادة آيتيوس Aetius، وبالرغم من فشله إلا أنه استطاع أن ييسط نفوذه على شرق غالة حتى نهر السوم Somme غربا، واتخذ من مدينة تورناي Tournai مقرا لحكمه، خلفه على عرش المملكة مروفك Mirovic (ملك البحر)، تزوج هذا الملك من بازينا Basina ابنة شيلدريك Childeric التي كانت زوجة لأحد الملوك الثورنجيين Thuringians وأنجبت له كلوفس، وهو أقوى ملوك الفرنجة في الأسرة الميروفنجية (482-511م)⁽²⁾.

-كلوفس:

⁽¹⁾ سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا، ص.ص.76-77.

⁽²⁾ محمود سعيد عمران، معالم أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص.ص.88-89.

يعتبر كلوفس المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة البحرين، إذ أنه في سنة 486م ألحق الهزيمة بسياجريوس Syagerius، في سواسون Soissons، هذا الذي بقي يمثل الإدارة الرومانية في حوض السين، بالرغم من أن الإمبراطورية قد سقطت في الغرب سنة 476م. أخذ كلوفس (486-511م) يعمل بسرعة لمد نفوذ الفرنجة في شمال غاليا⁽¹⁾، وأهم عمل قام به كلوفس هو اعتناقه المسيحية على المذهب الكاثوليكي بفضل زوجته كلوتيلدا ابنة الملك البورجندي، ويقال أنه بعد خسارته أمام الألمان Alamans، نذر على نفسه في حالة انتصاره عليهم سيعتق المسيحية، فكان له ذلك سنة 496م⁽²⁾.

وقد كان لاعتناقه المسيحية تأثير كبير على رجاله، إذ أنه ما يزيد عن ثلاثة آلاف من جنوده أصبحوا مسيحيين على المذهب الكاثوليكي. وبهذا أصبح الطريق معبدا للفرنجة للتوسع والاندماج مع الرومان، وزادتهم دعما من السكان الكاثوليك في كل أرجاء الغرب اللاتيني، وهكذا أصبح التحالف أمرا واقعا بين ملوك الفرنجة والبابوات⁽³⁾. كما أن كلوفس خاض حروبه ضد البورجنديين وانتصر عليهم سنة 500م، بالإضافة إلى انتصاره على القوط الغربيين سنة 507م، وكل ذلك أهله لتوسيع مملكة الفرنجة في غالة وجوارها⁽⁴⁾.

وبعد هذا الانتصار منح الإمبراطور الشرقي (أناستاسيوس الأول) لقبه قنصل Consul وأغسطس Augustus لكلوفس كلقبين شرفيين من جهة إضفاء القدسية، ومن جهة أخرى التحالف معه ضد القوط الشرقيين، كما أنه اعترف بشرعية كلوفس

⁽¹⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص.79.

⁽²⁾ للمزيد انظر: Ian Wood, the Merovingian Kingdoms 450-751, Longman Publishing, London, New York, 1994, P.41.

⁽³⁾ السيد الباز العربي، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ص.ص.122-123.

⁽⁴⁾ للمزيد انظر: Ian Wood, op.cit., P. 42، انظر أيضا الملحق 3، توسعات مملكة الفرنجة زمن الأسرة الميروفنجية.

على غالة، وفي الوقت نفسه خوضه للحروب ضد أعدائه⁽¹⁾. وعند وفاة كلوفس سنة 511م كانت مملكتهم تمتد على جانبي الراين وتشمل كل أراضي غالة ماعدا بريتاني(أرموريكا) وجاسكوني وبروفانس⁽²⁾.

- مصير المملكة بعد تقسيم الميراث (الأراضي) بين أبناء الأسرة الحاكمة:

هناك حقيقة كان لها تأثير كبير على مستقبل مملكة الفرنجة، ألا وهي أن ملوك الفرنجة يعتبرون الأرض ملكا لهم، وعلى هذا الأساس قسم كلوفس مملكته بين أولاده الأربعة⁽³⁾، وأخيرا استطاع لوثر الأول (كلوثير) توحيد مملكة الفرنجة سنة 558م بعد وفاة إخوته الثلاثة، أي جميع أراضي مملكة والده كلوفس، بالإضافة إلى بروجنديا وثورنجيا وبروفانس وبافاريا⁽⁴⁾، غير أن هذه المملكة عادت إلى الانقسام بعد وفاة لوثر الأول سنة 561م، وبقيت على هذا الحال حتى بداية القرن السابع الميلادي (613م)، حينها وحدها الملك لوثر الثاني Luther II، بعدها وصل ابنه داجوبرت Dagobert إلى العرش سنة (629-639م). فعادت للمملكة قوتها وهيبتها⁽⁵⁾.

-نفوذ نظام القصور:

بوفاة داجوبرت ضرب الضعف مرة أخرى أركان مملكة الفرنجة، حيث برزت طبقة النبلاء واتساع سلطة الكنيسة، كما اندلعت الحرب الأهلية، والنزاعات الداخلية وأصبحت قاعدة عامة. كما أصبح تاريخ الفرنجة حتى ظهور شخصية شارل مارتل سنة 714م يمثل تاريخ الصراع بين العائلات في نوستريا وأوستراسيا، من أجل الفوز بمركز رئيس البلاط. وقد كانت لأوستراسيا الغلبة على منافستها نوستريا وبرجنديا، نتيجة تراجع الإقليمين الأخيرين تجاريا

⁽¹⁾ نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص ص.176-177.

⁽²⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص.83.

⁽³⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص.83؛ كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.177.

⁽⁴⁾ عاشور، المرجع نفسه، ص.83.

⁽⁵⁾ محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي 755-

976م/138-366هـ، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1981م/1401هـ، مصر، ص.16.

وتدهورت مكانة المدن، بالإضافة إلى غلبة الصفة الجرمانية والعنصر الجرمانى على العنصر الغالو روماني من الناحية العددية في أوستراسيا⁽¹⁾.

- ببين (الثاني) هرستال ونفوذه:

تبرز شخصية ببين الثاني Pipin II المعروف ببين هرستال Heristal، وأصبح رئيس البلاط في المملكة واتخذ متر metz مقرا له، وقد تركز الحكم في متر وآخن أوستراسيا وكولونيا، وغدا بيت ببين أهم من البيت الميروفنجي واستمر حكم رئيس البلاط من سنة 688م إلى غاية 715م⁽²⁾.

ويقول اينهارد بشأن تراجع مكانة ملوك الأسرة الميروفنجية: "وعلى الرغم من أن الأسرة الميروفنجية قد انتهت بشيلدريك، فإنها كانت قد فقدت سلطانها منذ أمد بعيد، فلم يبق له سوى لقب ملكي أجوف، لأن القوة والسلطة الحقيقيتين قد أصبحتا في أيدي الموظف الرئيسي في البلاط المدعو رئيس البلاط Mayor of Palce"، وهو المسؤول الرئيسي عن شؤون المملكة⁽³⁾.

-توسعات شارل مارتل:

خلف شارل مارتل Martel المسمى بالمطرقة والده ببين الثاني في رئاسة البلاط، وهذا بعد حرب أهلية بين أوستراسيا ونوستريا، واستمر في حكمه مدة طويلة (719-741م)، وقد كانت مرحلة مفصلية في تاريخ غرب أوروبا ووسطها⁽⁴⁾.

ولم يبق للسلطة الملكية سوى لقب ملكي أجوف، ولقد قام شارل بتوسيع نفوذ الفرنجة، حيث قام بحملاته العسكرية ضد كل من السكسون سنة 718م و738م، والفريزيين سنة 719م و738م، والألماني سنة 730م، والبافاريين سنة 725م و728م، في حين أن هناك

⁽¹⁾ محمد محمد مرسى الشيخ، المرجع نفسه، ص ص. 16-17.

⁽²⁾ محمد محمد مرسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص. 17.

⁽³⁾ اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة: عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، 1989، دمشق، ص. 44.

⁽⁴⁾ محمد محمد مرسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص. 17.

خطرا آخر يزحف من الجنوب باتجاه الشمال، وتمثل ذلك في خطر المسلمين الذين تمكنوا من فتح الأندلس، وبدؤوا يزحفون باتجاه غالة⁽¹⁾.

وذاع صيت شارل مارنل بعد انتصاره على المسلمين، أثناء زحفهم باتجاه الشمال⁽²⁾، وكان ذلك في المعركة التي دارت رحاها في المنطقة الواقعة بين بواتيه وتور سنة 732م، حيث قُتل عبد الرحمن الغافقي، وتراجع جنوده⁽³⁾.

- دور بيبين القصير (الثالث) في إنهاء حكم الميروفنجيين:

تظهر مرة أخرى شخصية بيبين الثالث Pipin III (القصير) في إدارة البلاط الميروفنجي، كما سوى علاقاته مع الكنيسة الكاثوليكية، وقام بعمله الجريء، الذي من خلاله تمكن من القضاء على البيت الميروفنجي، حيث اجتمع مجلس النبلاء بسواسون بنستريا في شهر أكتوبر سنة 751م، ومنحوا بيبين القصير لقب الملك، بمباركة البابا زكريا Zakaria، وقام القديس بونيفاس Bonifas بترسيمه، وبهذا يبدأ عهد جديد للفرنجة تحت حكم الكارولنجيين⁽⁴⁾.

ب- الأسرة الكارولنجية (751-987م)

استهل بيبين القصير عهده بمراسلة البابا زكريا، حيث جاء في رسالته: "أليس من حق الشخص الذي بيده السلطة الحقيقية، أن يكون له أيضا لقب الملك؟"، فأجاب البابا: "من حق الرجل الذي بيده السلطة الحقيقية، أن يحصل على لقب الملك، بدلا من أن يحتفظ بهذا اللقب الرجل الذي ليس له سلطة حقيقية". وبهذا يكون بيبين القصير قد اكتسب الشرعية من البابوية، ويحل محل تشلدريك الثالث⁽⁵⁾، الذي تم عزله من منصبه⁽⁶⁾، وبذلك ينتهي عهد

⁽¹⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص. 148.

⁽²⁾ محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص. 17-18..

⁽³⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص. 148-149.

⁽⁴⁾ محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص. 17-19.

⁽⁵⁾ محمد محمد مرسي الشيخ، المرجع نفسه، ص. 19.

⁽⁶⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص. 43.

الميروفنجيين⁽¹⁾، ويبدأ حكم الكارولنجيين من سلالة رؤساء بلاط أوستراسيا، وكان أولهم بيبين القصير، الذي امتد حكمه من سنة 752م إلى غاية 768م⁽²⁾.

- الكارولنجيون في عهد الملك شارلمان (768-814م):

كان من عادة الجرمان (الفرنجة) أن يقسم الإرث بين الأولاد، حيث قام الملك بيبين القصير وهو يحتضر بتقسيم مملكته بين ولديه، بحيث أخذ شارلمان الأراضي الممتدة من أكويتين إلى الجزء الجنوبي الغربي من أوستراسيا (حاليا فرنسا والأراضي المنخفضة والمناطق المطلة على الحدود الألمانية)، بينما أخذ كارلومان بقية أراضي أوستراسيا والجزء الشرقي من المملكة وهي الأراضي الممتدة من باريس شمالا إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوبا، بالإضافة إلى الجهة الشرقية والتي تغطي معظم أراضي سويسرا وقسما كبيرا من ألمانيا الجنوبية، علما أنه كانت العلاقة بين الأخوين يشوبها كثير من الريب والتوتر⁽³⁾.

وبوفاة كارلومان سنة 771م، قام شارلمان بتوحيد المملكتين تحت رايته، التي امتدت بين مصبي نهري الراين والرون ومن نهر المين إلى خليج بسكاي، غير أن جربرجا Gerberga أرملة كارلومان Carloman فرت مع ولديها إلى ديسيديريوس Desiderius ملك اللومبارديين في بافيا Bavaria، لعلها تجد دعما لاسترجاع حقوق ولديها من ميراث أبيهما المتوفى⁽⁴⁾، غير أن وصول البابا هادريان Haderian إلى عرش البابوية سنة 772م تحالف مع شارلمان لردع اللومبارديين، وتمكن شارلمان من كسر شوكتهم سنة 774م⁽⁵⁾.

ويقول اينهارد Einhard بشأن ذلك: "غير أن شارلمان لم يتوقف، -بعد أن أعلن الحرب على اللومبارديين-، حتى أنهك الملك ديسيديريوس باستخدام أسلوب الحصار طويل الأمد،

⁽¹⁾ محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة، ص. 19.

⁽²⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص. 151.

⁽³⁾ محمود الحويري، اللومبارديون في التاريخ والحضارة (568-774)، 1986، دار المعارف، القاهرة، ص. 138-139.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص. 146-147.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص. 147-154.

وبالتالي أجبره على الاستسلام دون قيد أو شرط"⁽¹⁾، وخلع على نفسه لقب ملك الفرنجة واللومبارديين⁽²⁾.

كما أن الملك استأنف حربه ضد السكسون، التي كلفته كثيرا من الجهد والمال واستغرقت ثلاثة وثلاثين سنة (772-804م) وانتهت بكسر شوكتهم، وقبولهم بشروط شارلمان، ومنها تخليهم عن أعرافهم الدينية القومية والوثنية، واعتناقهم المسيحية، واتحادهم مع الفرنجة في شعب واحد⁽³⁾، بالإضافة إلى أن شارلمان قام بحملته على اسبانيا (الأندلس)⁽⁴⁾، وكانت هذه الحملة سنة 778م/161هـ، وتكمن أسبابها في رغبة شارلمان في توسيع مملكته، وهو حلم راوده لإعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة، وتأمين الحدود الجنوبية لتفادي الخطر العربي الإسلامي.

ولذلك اتبع سياسة الهجوم، وهي خير وسيلة للدفاع، علما أن هناك عوامل شجعت على ذلك، من بينها تحريض مجموعة من العرب المسلمين في الأندلس لأسباب سياسية وقبلية، وخاصة الساخطين على عبد الرحمن الداخل، من بينهم سليمان بن يقطان والي برشلونة، حيث انتقل هذا الأخير إلى بادربورن Paderborn في سكسونية ليقابل شارلمان، وكان ذلك سنة 778م/161هـ، حيث اقترح عليه غزو الأندلس وتعهد بتقديم المساعدة للملك، بالإضافة إلى دور ملوك أستورياس Asturias في إثارة الشعور العدائي ضد العرب، فضلا عن مباركة البابوية للحملة، التي اعتبرتها حملة مقدسة، كما أن العلاقات العدائية بين العباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس شجعت الملك شارلمان على حملته على الأندلس⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص.62.

⁽²⁾ محمود الحويري، اللومبارديون، ص.154.

⁽³⁾ للمزيد عن الحرب التي خاضها الملك شارلمان ضد العنصر السكسوني. انظر: اينهارد، المصدر السابق، ص.65-73.

⁽⁴⁾ اينهارد، المصدر نفسه، ص.74.

⁽⁵⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص.74-75، حاشية (2).

بحيث اتجه شارلمان إلى مدينة سرقسطة، وهي هدفه الرئيسي معتقدا أنه سيدخلها بسهولة، غير أن المدينة أغلقت الأبواب دونه، ولما يئس من دخولها رفع الحصار عائدا إلى بلاده، وتكمن أسباب فشل هذه الحملة في دفاع العرب المسلمين عن مدينتهم، وفشلت قوات شارلمان في تحقيق انتصارات ملموسة، وعدم تلقيه المساعدة من أنصاره من المسلمين، كما أن تجدد ثورة السكسون أزجبت شارلمان وبإمكانها أن تعصف بكل انجازاته في سكسونية⁽¹⁾. وفي أثناء عودته إلى بلاده تعرضت مؤخرة جيشه لهجوم الجسكونيين Gascons، وألحقت بها خسائر فادحة⁽²⁾. ولتأمين حدوده قام شارلمان بوضع وحدة إدارية على حدوده الجنوبية، سميت بماركية اسبانيا سنة 795م، كما تم ضم برشلونة إليها سنة 797م، بعد أن تسلمها من حاكمها الخائن لخليفة قرطبة⁽³⁾، بالإضافة إلى أن الفرنجة مدوا نفوذهم على جزيرتي كورسيكا Corsica وسردينيا Sardinia، وجزر البليار Baleares سنة 799م، وذلك لمنع المسلمين من اتخاذها قواعد عسكرية لغزو شواطئ إيطاليا وغاليا الجنوبية، كما كانت لشارلمان محاولة في مواجهة الأغالبة، والدفاع عن شواطئ إيطاليا وصقلية.

لقد كان معظم فترة حكم شارلمان حروب مستمرة، حيث خاض فيها أربع وخمسين حملة، تمكن فيها من الاستيلاء على أقاليم عديدة، كما كان له دور في نشر المسيحية بين القبائل التي خضعت لسلطانه في الغرب اللاتيني⁽⁴⁾.

-العلاقات مع المسلمين:

لقد كان هناك تقارب بين الفرنجة وخلفاء العباسيين، إذ تعود بدايته إلى فترة حكم الملك الفرنجي ببين القصير (751-768م)، الذي تبادل السفارات الودية مع الخليفة المنصور (754-775م/136-158هـ)، وكان لشارلمان أيضا رغبة في استمرار العلاقات مع العباسيين لعله يحقق ما كان يصبوا إليه، وبهذا تبادل السفارات مع الخليفة هارون

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص ص. 75-76، حاشية (1).

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص ص. 75-79.

⁽³⁾ عاشور، تاريخ اوربا، ص ص. 159-160.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص. 160. انظر الملحق 4، إمبراطورية شارلمان

الرشيذ (786-809م/170-193هـ)، إذ أن الملك شارلمان كان يسعى لتحقيق رغبته السياسية والتجارية، ومنها تسهيل وصول الحجاج المسيحيين إلى الأماكن المقدسة في فلسطين، بالإضافة إلى الضغط على البيزنطيين من أجل اعتراف هؤلاء بشارلمان كإمبراطور على الغرب.

أما فيما يخص علاقات الخليفة هارون الرشيد بشارلمان، فلم تكن له علاقات سياسية كبرى يريد تحقيقها من وراء علاقته بالملك الفرنجي، غير أنه ربما تجنب الخليفة هارون الرشيد قيام أي تحالف بين الفرنجة والبيزنطيين ضد الخلافة الإسلامية⁽¹⁾.

ويقول اينهارد: "كانت علاقاته (شارلمان) ودية مع هارون...فقد أثر هذا الأمير مودة شارلمان على كل ملوك الأرض وحكامها، وبنى علاقته معه على الاحترام والكرم...وقام السفراء بالمثل بين يدي هارون الرشيد ومعهم الهدايا، كما نقلوا رغبات سيدهم شارلمان"⁽²⁾. وعند عودة سفراء شارلمان رافقهم في رحلتهم سفراء هارون الرشيد إلى الملك ومعهم الهدايا الفاخرة، بالإضافة إلى مواد وعطور ومنتجات أخرى قيمة من بلاد الشرق. وقبلها بسنوات كان شارلمان قد طلب من الخليفة الرشيد أن يهديه فيلا، فأهداه هارون الفيل الوحيد الذي كان يملكه⁽³⁾، محملا بأفخر جهاز، وقد استخدم شارلمان هذا الفيل في حربه ضد الدانماركيين⁽⁴⁾.

-تتويج شارلمان إمبراطورا على الغرب اللاتيني سنة 800م:

في نهاية القرن الثامن الميلادي، كان شارلمان قد حقق انجازات عظيمة، كما كان له دور كبير في حماية البابوية ونشر المسيحية، وإحياء كثير من مظاهر الحضارة الرومانية في الغرب اللاتيني، لذا أصبح شارلمان رجل عصره وجدير بقيادة العالم المسيحي، وهو القوة الوحيدة التي قضت على نفوذ اللومبارديين في ايطاليا ووقفت إلى جانب البابوية، كما تصدى

⁽¹⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص.105، حاشية (1).

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص ص.104-105.

⁽³⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص ص.106-107.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص.107، حاشية (1).

للسكسون ونشر المسيحية بينهم، وتمكن من غزو اسبانيا، وواجه المسلمين في جزر البحر الأبيض المتوسط.

كل ذلك جعل منه بطلا منقذا للغرب منذ سقوط روما سنة 476م، وأصبح جديرا بالزعامة، وكان هو نفسه يطمح لذلك بشرعية من البابوية حتى تضيف على شخصه لقب الإمبراطورية، وبالتالي يكون الأثر أبلغ في العالم المسيحي⁽¹⁾.

وقد حانت الفرصة لشارلمان في تحقيق حلمه الذي طالما راوده، ففي سنة 799م تحالف خصوم البابا ليو الثالث Leo III⁽²⁾ (795-816م)⁽³⁾ ضده، بحيث حيك خطة للتخلص منه، وهي سمل عينيه وقطع لسانه⁽⁴⁾، ولكن البابا تمكن من الفرار إلى حيث يقيم شارلمان⁽⁵⁾، فاستقبله بحفاوة وطمأنه بالعودة إلى روما واعتلاء عرشه، وقام الملك بإرسال ليو الثالث إلى روما وتبعه بعد ذلك، وفي مجمع تم عقده في روما برأ ليو من جميع التهم⁽⁶⁾، وكان ذلك في 23 من شهر ديسمبر من سنة 800م⁽⁷⁾، وتقلد منصبه من جديد، في حين قام الملك بمعاينة خصوم البابا⁽⁸⁾.

ورأى البابا ليو الثالث خير مكافأة لشارل أن يمنحه تاج الإمبراطورية، وتنفيذا لفكرته قام أثناء احتفال رأس السنة (800م) بكنييسة القديس بطرس، وبعد انتهاء الصلاة تقدم البابا وفي يده التاج وقام بوضعه على رأس شارلمان، مرددا "اللهم امنح الحياة والنصر لشارل العظيم، الذي توج بفضل الله إمبراطورا على الرومان"، حينها هتف الجميع بحياة شارلمان.

⁽¹⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص ص. 160-161.

⁽²⁾ عاشور، المرجع نفسه، ص. 161.

⁽³⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص. 142، حاشية (2).

⁽⁴⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص ص. 161-162.

⁽⁵⁾ انظر: Heinrich Fichtenau, the Carolingian Empire, the age of Charlemagne, translated by, Peter Munz, Harper and Row Publishers, New York, Evanston, P.73.

⁽⁶⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص. 162.

⁽⁷⁾ فيشر هيربرت، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ط. 5، القسم الأول، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص. 89.

⁽⁸⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص. 162.

وحقيقة تتويجه شجعتة عوامل منها، أن شارلمان اثبت نجاحه وإخلاصه للبابوية، كما أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تحت حكم ايرين Irene (797-802م)، التي لم تحسن إدارتها⁽¹⁾. ويقول اينهارد بشأن تتويج شارلمان إمبراطورا: "وأثناء وجود شارلمان في روما أُطلق عليه لقب إمبراطور وأغسطس، فلم يرتح لهما وكرههما في بادئ الأمر، وأعلن أنه ما كان ليدخل الكنيسة في ذلك اليوم العظيم من أيام الأعياد لو علم بعزم البابا على منحه هذين اللقبين"⁽²⁾، وكان تتويجه في 25 من شهر ديسمبر من سنة 800م⁽³⁾.

إن ما كتبه اينهارد: أن شارل أعرب لاحقا عن عدم رضاه عن الطريقة التي اتبعها ليو الثالث، لا يمكن أن يشير إلى حقيقة التكريس نفسه، لكنه يشير فقط إلى الطريقة المحددة التي تم بها التتويج⁽⁴⁾، أي أن شارل تهرب من طريقة التتويج، وربما كان يرغب في إقامة حفل خاص بذلك ويتوج نفسه، لا من البابا حتى لا تكون هبة أو منحة منه، وربما أيضا كان لا يريد أن يثير غضب القسطنطينية في تلك الفترة⁽⁵⁾.

وهكذا أصبح شارلمان إمبراطورا على الغرب المسيحي، واعتبر نفسه إمبراطورا حقيقيا يضاهي أباطرة الشرق⁽⁶⁾، وقد كان هذا التتويج صدمة كبيرة للإمبراطورية البيزنطية، فأباطرتها يعتبرون أنفسهم -منذ سقوط روما في القرن الخامس الميلادي- ورثة لأباطرة الغرب ويتمتعون بالسيادة ولو كانت اسمية، ولم يعترفون بذلك التتويج، إلا بعد مرور اثنتي عشرة سنة، أي سنة 812م⁽⁷⁾، حيث أرسل الإمبراطور ميخائيل الأول رانجابي Michael I Rangabe (811-813م) رُسله إلى بلاط شارلمان في مدينة آخن Aachen للإعتراف به كإمبراطور على الغرب، بل يطلب الزواج لابنه من ابنة شارلمان لتوطيد العلاقات، وهكذا

⁽¹⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص ص 162-163.

⁽²⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص ص 143-144.

⁽³⁾ اينهارد، المصدر نفسه، ص 143، حاشية (1). انظر أيضا: محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، 1994، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 146.

⁽⁴⁾ للمزيد انظر: Heinrich Fichtenau, op.cit., P.74.

⁽⁵⁾ اينهارد، المصدر السابق، ص 144، حاشية (1).

⁽⁶⁾ للمزيد انظر: Heinrich Fichtenau, op.cit., P.75.

⁽⁷⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص ص 163-164.

أصبح إمبراطوران شرعيان في الجهتين الشرقية والغربية، وعلى ما يبدو أن ميخائيل اتبع هذه السياسة نتيجة تلقيه ضربة من البلغار سنة 811م، وعدم قدرته على مواجهة الغرب، خاصة وأن الفرنجة وسعوا نفوذهم على حساب الأملاك البيزنطية في إيطاليا⁽¹⁾.

ويرجع الفضل لشارلمان في بعث الإمبراطورية الرومانية، التي غاب أباطرتها عن الوجود منذ القرن الخامس الميلادي تحت اسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة⁽²⁾، توفي شارلمان سنة 814م، بعد أن وطد أركان مملكة الفرنجة وأضفى عليها صبغة الإمبراطورية وجعلها في خدمة المسيحية⁽³⁾.

-تقسيم الإمبراطورية وعقد معاهدة فردان سنة 843م⁴:

عملا بالعرف الجرمانى قام شارلمان بتقسيم إمبراطوريته بين أبنائه الثلاثة، غير أن اثنين توفيا وبقي لويش التقي Louis le Pieux، الذي توجه شارلمان بتاج الإمبراطورية سنة 814م، إلا أنه أُعيد تتويجه مرة أخرى من قبل البابا ستيفن الرابع Steven VI (816-817م) سنة 816م. ولم تكن للويس المقدرة السياسية ولا الإدارية، واستمر هو نفسه في مشروع التقسيم، بحيث وضع سنة 817م مشروعا لتقسيم إمبراطوريته بين أبنائه. لوثر Luther وبيبين Pipin ولويس Louis، غير أن لويش التقي تزوج مرة أخرى وأنجب طفلا اسماء شارل، فقرر إعادة التقسيم من جديد، ولكن ذلك لم يعجب الأبناء هذا التصرف، فاندلعت حرب بين الأخوة من جهة وبينهم وبين أبيهم من جهة أخرى. ولكن بوفاة بيبين ثم لويش التقي سنة 840م، فانحصر الخلاف بين بقية الأبناء⁽⁵⁾، وهم شارل الأصغر ملك نوستريا ولويس الألماني ملك شرقي الراين، ولوثير ملك أوستراسيا وبرجنديا وإيطاليا⁽⁶⁾، إلى أن وضعت الحرب أوزارها وتم التصالح فيما بينهم في اتفاقية فردون Verdun سنة

⁽¹⁾ محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص.153.

⁽²⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص.163.

⁽³⁾ هيربرت فشر، المرجع السابق، ق.1، ص.95.

⁽⁴⁾ لتقسيم المملكة الكارولنجية في معاهدة فردان انظر: الملحق 5

⁽⁵⁾ عاشور، تاريخ أوربا، ص.ص. 169-170.

⁽⁶⁾ هيربرت فشر، المرجع السابق، ق.1، ص.100-101.

843م⁽¹⁾. بحيث أخذ شارل الأصلع نوستريا وأقطنيا وإقليم الثغور الإسبانية، وهي الأراضي الواقعة غربي الرون والساوّن Saône من فرنسا الحديثة. بينما أخذ لويس أوستراسيا شرقي الراين، بما في ذلك بافاريا وسوابيا وسكسونيا بألمانيا، التي تسود فيها اللغة الألمانية عدا الأخيرة (حاليا القسم الشرقي من الرايخ الألماني)، بينما امتدت أراضي لوثير من (فريزلند هولندا الحالية) إلى قلورية في أقصى شبة الجزيرة الإيطالية، يضم عاصمة الإمبراطورية اكس لاشابل Aix la Chapelle وروما مقر البابوية⁽²⁾.

وبذلك تكون معاهدة فردان إرهابا بميلاد بعض الدول الأوروبية الحديثة التي تمايزت على أساس لغوي، بحيث حكم شارل الأصلع الإقليم الذي تكلم الرومانية المحرفة عن اللاتينية (فرنسا)، بينما حكم لويس الألماني الجزء الذي تكلم الألمانية (ألمانيا)، في حين أخذ لوثر المنطقة الوسطى وهي انتقال بين الألمانية والفرنسية التي سميت باسمه لوثرنجيا، ثم تم تحريفها إلى اللورين، وهي لا تزال إلى اليوم حلقة انتقال بين اللغتين الألمانية والفرنسية⁽³⁾. توفي لوثر سنة 855م، فقسّمت مملكته بين أبنائه الثلاثة. وكثر الصراع بين أبناء البيت الكارولنجي، ولم يبق من الأبناء الشرعيين سنة 884م سوى شارل البسيط في فرنسا وشارل السمين في ألمانيا، غير أن هذا الأخير عُزل سنة 887م، وتوفي السنة التالية، في حين أن شارل البسيط كان طفلا، مما ساعد أودو Oddo كونت باريس على اعتلاء العرش، وتأسيس أسرة جديدة وهي أسرة كابيه Capet سنة 888م⁽⁴⁾، لتستمر هذه الأسرة في حكم فرنسا إلى غاية سنة 987م، أما في ألمانيا فإن الحكم الكارولنجي انتهى سنة 911م⁽⁵⁾.

- تحرك قبائل الفايكينغ:

شهدت أوروبا تحركات قبائل الفايكينغ Viking من الشمال أي الأراضي الاسكندنافية خلال القرن التاسع الميلادي، لتجد أوروبا نفسها تحت هجمات هؤلاء وعجزت الحكومات عن

⁽¹⁾ عاشور، تاريخ أوروبا، ص. ص. 169-170.

⁽²⁾ هيربرت فشر، المرجع السابق، ق. 1، ص. 101.

⁽³⁾ عاشور، تاريخ أوروبا، ص. ص. 170-172.

⁽⁴⁾ عاشور، تاريخ أوروبا، ص. 172.

⁽⁵⁾ كانتور، المرجع السابق، ج. 1، ص. 274.

مواجهة ذلك وانعدام الأمن¹. ويدخل الغرب الأوربي تحت ما يسمى بالإقطاع في ظل فشل السلطة المركزية لمواجهة غزوات الفايكينغ والعرب والهنغار Hungarians، في حين فشل تقسيم الإرث على أبناء البيت الكارولنجي فيما يتعلق بالأراضي في معاهدة فردان سنة 843م².

- مفهوم الإقطاع:

الإقطاع في مفهومه هو نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وُجد نتيجة ظروف مر بها الغرب اللاتيني. وقد تماشى ذلك النظام مع ما تناسب مع حاجة المجتمع إليه في تلك الفترة الحرجة، ولكي يسير ذلك الإقطاع بشكل منظم تم تحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وكان هذا القانون وفق عادات وتقاليد العصور الوسطى. وحقيقة لم يكن ظهوره فجأة، وإنما كانت له جذوره منذ العصر الروماني أو حتى مع القبائل الجرمانية³.

ومن خلال ذلك يمكن القول، بأن الإقطاع تجربة عملية حتمتها الأحداث على مجتمع الغرب اللاتيني، لتتولى أمورها في ظل غياب الحكومة المركزية، من أجل إيجاد قسط من الأمن والأمان، علما أن هذه التجربة وتطبيقها الفعلي تفاوتت بين الشعوب والأمم⁽⁴⁾. وقد تمثلت عناصر الإقطاع الثلاثة في: السيد والتابع والإقطاع، علما أن التابع يرتبط بسيد به علاقة وطيدة، إذ يحلف له يمين الولاء والإخلاص، ومقابل ذلك يحصل على الإقطاع يستغله وينتفع به⁵.

والإقطاع الذي عرفه الغرب اللاتيني، كانت بوارده في القرن الثامن الميلادي وأخذ في التطور ليصبح أكثر فاعلية، ولقد عرف الفرنجة النظام الإقطاعي بشكله التقليدي على

¹ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص.25.

² كارل ستيفنسن، الإقطاع في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، ص.11.

³ أحمد إبراهيم الشعراوي، الإقطاع وأوروبا في العصور الوسطى، المطبعة العالمية، 1970، القاهرة، مقدمة المؤلف، ص.ص.3-4

⁽⁴⁾ كوبلاند (ج.و)، فينوجرادوف(ب)، الإقطاع والعصور الوسطى، ت. محمد مصطفى زيادة، ط.3، 1985، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص.ص.4-5.

⁵ أحمد إبراهيم المرجع السابق، ص.12.

أساس ثلاثة عناصر، أولها علاقة السيد Lord بتابعه Vassal أي السيادة والتبعية Lord Vassalage، وثانيها حياة الإقطاع Fief مقابل تأدية الخدمة العسكرية في جيش السيد الإقطاعي، وثالثا لامركزية القضاء، حيث أصبحت للسادة الإقطاعيين حقوقا قضائية على حساب سلطة الملك⁽¹⁾.

وعليه فإن الإقطاع شكل نظاما اجتماعيا وأخلاقيا وعسكريا، بما كان فيه من التزامات بين الطرفين. ولقد ظهر النظام الإقطاعي بشكل جلي ما بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، حيث أصبح الغرب رهينة لهذا النظام، بل أنه انتقل إلى المشرق عند تحرك الجيوش الصليبية باتجاه الشام خلال الحملة الصليبية الأولى (1095-1099م)⁽²⁾.

ومثل ما كان لهذا النظام عوامل ساعدته على الظهور والتطور، كانت هناك عوامل أدت إلى تراجع ونهايته. فبعد أن كان كل ما يحتاجه الفرد الأوربي يدخل ضمن دائرة الإقطاع في جميع جوانب الحياة، فلما ظهرت المدن واستقر بها الصناع والتجار وازداد الإنتاج تدريجيا وتوسعت الأسواق، وأصبح المزارع بإمكانه أن يبيع ما يزيد عن حاجته مقابل النقود، بل حتى الرسوم وكل الأعباء تدفع نقدا حتى على رعي الماشية في أراضي السيد الإقطاعي، وكانت جميع الأعمال التي يقومون بها تقابلها الأموال وهذه العملية استمرت حتى القرن الرابع عشر الميلادي، هذا بالإضافة إلى تحرير الرقيق، كما أن أمراء الإقطاع قد حصلوا على أموال طائلة نتيجة لنمو التجارة، وكل ذلك كان له الأثر في جميع الميادين، هذه صورة من الصور التي أوحى بتراجع الإقطاع وانتهائه تدريجيا⁽³⁾.

⁽¹⁾ مصعب حمادي نجم الزيدي، الاستيطان الصليبي في بلاد الشام، مملكة بيت المقدس أنموذجا، أطروحة دكتوراه، إشراف، د/ ناصر عبد الرزاق الملا جاسم، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005، ص.110.

⁽²⁾ مصعب حمادي، المرجع السابق، ص.110.

⁽³⁾ أحمد إبراهيم الشعراوي، المرجع السابق، ص.ص.52-54.

المحاضرة 2: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية خلال العصور الوسطى

1- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

لقد كان النظام الإقطاعي نظام شامل تتركز فيه جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى الدينية، وحسب رأي نورمان كانتور فلا غنى عن السيادة في الإقطاع، وهذا الأخير شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي، حيث أن غالبية السلطات السياسية والاقتصادية بأيدي النبلاء التي يتوارثونها من جيل إلى جيل، وتقوم قوة النبلاء الاقتصادية على سيادتهم على الضياع الكبيرة وعلى الفلاحين، وأما قوتهم السياسية والعسكرية فإنها تتركز في سيطرتهم على الجنود من الرجال الأحرار، بالإضافة إلى السيطرة على المؤسسات الحكومية والقضائية اللامركزية. وهذا التنظيم الاجتماعي تميزت به فرنسا منذ القرن التاسع حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، بينما لم يظهر في إنجلترا إلا في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ومثله في ألمانيا¹.

وهذا النظام قد عرفه الغرب اللاتيني منذ القرن التاسع الميلادي واستمر حتى القرن الرابع عشر الميلادي، وهذا خاصة بعد انهيار الحكم المركزي في غرب أوروبا². وطبعا كان هذا نتيجة لظروف مر بها المجتمع اللاتيني في تلك الفترة الحرجة من تاريخه، علما أن التبعية الإقطاعية لم تكن مرتبطة بالأرض. لقد كان الأوصال يعيشون في قلاع خشبية ذات جدران سمكية وسيدهم يتكفل بسد مختلف حاجاتهم، وفي خضم تطور الإقطاع تم الربط بين التبعية الإقطاعية وملكية الأرض، وهذا مكافأة الأوصال في خدمتهم لسيدهم³. وكان الاقتصاد في المجتمع الإقطاعي مبنيا على سياسة الاكتفاء الذاتي ولم يكن يُستورد من خارج الإقطاع إلا ما لم يستطيع توفيره داخله، وكان السيد الإقطاعي مصدر كل شيء،

¹ نورمان كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ج.1، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط.5، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، القاهرة، ص.ص. 277-278.

² أشرف صالح محمد سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا في العصور الوسطى، 2008، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، لبنان، ص.27.

³ نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.ص. 280-282.

وكان المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات النبلاء ورجال الدين وعامة الشعب، الذي كان قوامه رقيق الأرض ولكل وظيفته، وبهذا يشكل الإقطاع دولة قائمة بذاتها¹.

ويقول سعيد عبد الفتاح عاشور بشأن الضيعة في العصور الوسطى: "أن النظام الإقطاعي أدى إلى وجود وحدات اقتصادية تكفي نفسها بنفسها، فالضيعة الإقطاعية كانت في حد ذاتها وحدة مكتفية اكتفاء ذاتيا، الأمر الذي عاق تقدم الحياة الاقتصادية، في بلدان غرب أوروبا"². لقد كان الفرد في العصور الوسطى، لا يمثل شيء مقارنة بالجماعة التي هي كل شيء، سواء كانت هذه المجموعة هي الضيعة الإقطاعية أو القومون، أي المدينة ذات الكيان السياسي المستقل أو النقابة التي تمثل أصحاب الحرفة الواحدة³.

لقد كانت الأرض تمثل عصب الحياة، وكان الرقيق الفلاح في خدمة سيده الإقطاعي، وقد كان الفلاح يتبع الأرض إذ بيعت فهو في خدمة سيده الجديد، فلا حرية له فهو بذلك مقترن بالأرض، كما أن زوجته وأولاده في خدمة سيده، وكان على الفلاحين خدمة مدة أربعة أيام سخرة في الأسبوع في أرض السيد وتعمل الزوجة والأولاد في القصر. كما يعمل الفلاحون مدة ثلاثة أيام في باقي الأراضي الإقطاعية. علما أنه يوجد هناك مطحن واحد ومخبز ومعصرة حتى يستطيع السيد التحصيل من الفلاحين حين استعمالهم لهذه الوسائل، ولا يحق للرقيق أن يرسل أولاده للتعليم الكنسي أو للتجارة دون موافقة سيده. وكانت الضرائب تفرض على هؤلاء حسب ما يراها الأسياد، كما يمكنهم فرض رسوم عند استعمال الجسور والطرق في الضيعة، وقد كانت الكنيسة تحصل ضريبة العشور من الأقبان، بالإضافة إلى أن الفلاحين لا يمكنهم الزواج، إلا بعد استشارة أسيادهم، علما أن سكنى هؤلاء الفلاحين كانت مبنية من الطين والقش. وفعلا تبين هذه الصورة مدى وضاعة الأقبان علما أن الاقتصاد في العصور الوسطى كان بسواعد هؤلاء البسطاء مسلوب الحرية⁴.

¹ عمر عبد العزيز عمر، التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، 2000، دار المعرفة الجامعية، ص.6.

² عاشور عبد الفتاح، أوروبا في العصور الوسطى، ج.2، ص.60.

³ نعيم فرح، الحضارة الأوربية، ط.2، منشورات جامعة دمشق، 1999-2000، ص.363.

⁴ أشرف محمد صالح سيد، المرجع السابق، ص.ص.35-37.

ويقول ول ديورانت بشأن سكنى الفلاحين: "كان كوخ الفلاح يقام من الخشب الهش الرقيق ويسقف عادة بالقش والعشب المتلبد وأحياناً بالحصباء، وعادة لا يزيد الكوخ عن حجرتين... وكان فناء البيت مأوى للخنازير والدواجن"¹.

وفي القرن العاشر الميلادي يلاحظ هناك تحسن في أوضاع الفلاحين، بل هي أحسن حتى من القرون الأربعة اللاحقة، وهذا نتيجة توسع المساحات الزراعية على حساب الغابات والمستنقعات، واستفادوا من الدورات الزراعية، حيث تترك بعض المساحات لتستعيد خصوبتها في حين تزرع الأخرى، وهذا طبعا بالتناوب في كل سنة².

وعندما تغيرت الظروف التي كانت سببا في الإقطاع أصبح هذا الأخير عبئا على كاهل عامة الناس، وخاصة الفلاحين الذين كانت حياتهم قاسية، ولهذا كان تفكير الكثيرين خارج أوروبا للبحث عن مصادر الرزق، فكان بذلك تلبية لدعوة البابا أوربان الثاني للحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام للدفاع عن المقدسات الدينية المسيحية، حسب ما رُوج لتلك الفكرة، حتى أن الملاك الإقطاعيين كانت لهم نظرة خارج أوروبا لزيادة أملكهم الإقطاعية. وكان من نتائج هذه الحرب في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي أدت إلى تدهور النظام الإقطاعي وهذا بسبب أن الكثير من أمراء الإقطاع قد لقوا حتفهم وأن الفلاحين توجهوا نحو الصناعة والتجارة وتوسع المدن، كما أن الحركة الفكرية انتعشت منذ القرن الثاني عشر نتيجة لتوفر الثروة، وبذلك ظهور الطبقة البورجوازية التجارية. وكان هذا من المظاهر الاجتماعية للنهضة الحديثة، وقد أصبحت لهذه الطبقة سيطرة بفضل ثروتها وتبعها زوال طبقة رقيق الأرض الذين تحولوا إلى عمال أجراء ومن ثمة زوال الإقطاع³.

¹ ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، عصر الإيمان، مج.4، ج.3، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، جامعة الدول العربية، تونس، ص.414.

² نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.318.

³ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص.6-7.

2- الأوضاع الدينية:

بزوال الحكم المركزي في الغرب اللاتيني بعد سقوط روما في يد الجرمان سنة 476م، أصبح المجال مفتوحاً أمام الكنيسة لتتولى شؤون المجتمع اللاتيني وإدارته، فأصبح من البديهي أن يتولى الأسقف السلطة لأنه كان أكبر رجال الكنيسة الغربية مرتبة⁽¹⁾، إذ وجدت الكنيسة في البابوية خير وسيلة في جمع شملها وتحقيق طموحاتها، وهكذا أصبح البابا رأس الكنيسة الغربية الكاثوليكية ومصدر ولايتها وحارسها الأول لقوانينها ونظمها وعقيدتها، الذي استمد سلطته من تعيين المسيح عليه السلام له مباشرة، فالبابا خليفة القديس بطرس في كرسيه الأسقفي بروما. وهذا الأخير (بطرس) زعيم الحواريين ومقدم الرسل الذي اتخذ المسيح أساساً بنى عليه كنيسته. وبعبارة أخرى حسب قولهم، فإن البابوية وجدت سنداً قوياً في قول المسيح عليه السلام للقديس بطرس "وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات". وبذلك أصبح البابا رأس الجهاز السياسي في الغرب خلال العصور الوسطى حتى اعتبره معاصروه ملك الملوك وأمير الأمراء. وبذلك بدأت البابوية تنظم سيادتها على أساس إقطاعي فعال⁽²⁾.

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي وصلت البابوية إلى درجة متقدمة في عهد البابا إنوسنت الثالث Innocent III (1198-1216)، وخلال فترة حبريته (رؤاسته المقدسة) بدأت الهزات الأولى للصراع بين البابوية وسلالة ستاوفن Staufen الألمانية⁽³⁾، وقد

⁽¹⁾ السيد الباز العريني، السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، ص.ص، ص.172.

⁽²⁾ عاشور، أوروبا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج.2، ص.ص.1-2.

⁽³⁾ انظر: Walter Ullmann, Short history of Papacy in middle ages, Routledge, 2003, New York and London, P.122.

أصبحت البابوية في مركز مرموق لها تنظيمات خاصة بالبلاط البابوي وسياسة ثابتة تجاه السلطة السياسية، وسيطرة تامة على الهيئات الدينية⁽¹⁾.

كما أصبحت المحكمة البابوية في عهد البابا إنوسنت الثالث، جهاز قضائي تنظر في جميع القضايا المرفوعة إليها، وكان البابا نفسه ينظر في القضايا ويساعده بعض الكرادلة، حتى وإن كانت بعض القضايا يتم تحويلها إلى كبار رجال الدين في الأقاليم، التي جاءت منها مختلف القضايا. وأصبح الديوان البابوي أعظم جهاز إداري في العصور الوسطى، وأن الحكومة البابوية بدأت تتطور شيئاً فشيئاً، إلى أن برز التخصص في البلاط البابوي، أي نشوء جماعات وهيئات من الموظفين لكل منها عملها الإداري المعين⁽²⁾.

وفيما يخص ممتلكاتها فقد ازدادت توسعا في جميع الأراضي الأوربية، كما أنها معفاة من الضرائب علما أن إيراداتها ترسل إلى البابوية، وبذلك زاد ثراء رجال الدين وتحولت حياتهم إلى حياة أمراء ينعمون بالترف والبذخ، وانتشرت الرذيلة والفساد بين من يعتبرونه نموذجا للصالح. ونتيجة لحاجة الكنيسة إلى المال انتشرت ظاهرة صكوك الغفران التي يمكن للمذنب أن يكفر عن ذنوبه بدفع مقدار من المال إلى الخزينة الكنسية⁽³⁾.

وفي أواخر العصور الوسطى أصبحت تختلف كما كانت عليه في السابق، فالبابا بصفته رأس الكنيسة أصبح مثل الملوك والأمراء في بلاطهم، يعيشون حياة الترف وانتشار المفاصد التي لم يكن لها نظير، في حين رأى الإيطاليون إلى هذه المفاصد على أنها شيء عادي ولا يهمهم سوى بقاء كرسي البابوية في روما، حتى تتدفق عليه الأموال من كل أنحاء أوربا، بل أخذ البابوات ينافسون نظرائهم العلمانيين أمثال آل مديتشي في فلورنسا في رعاية الأدباء والفنانين⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.5.

⁽²⁾ عاشور، المرجع نفسه، ج.2، ص.6-7.

⁽³⁾ يحيى جلال، أوربا في العصور الحديثة، 1981، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ص.ص.440-441.

⁽⁴⁾ عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.291.

كما استمر الصراع بين البابوية والإمبراطورية على سيادة العالم المسيحي آنذاك، ومن تكون له الأولوية والأفضلية على الآخر، ونذكر مثالا على ذلك ما حدث في القرن الرابع عشر الميلادي إذ رحبت كفة السلطة الزمنية متحدية البابوية في مزاعمها على العالم المسيحي، وقام أتباع الملك الفرنسي فيليب الرابع (1285-1314م) باعتقال البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII (1294-1303م) وإذلاله⁽¹⁾، وأصبحت البابوية تسير نحو الأسوأ، وبترك البابوات روما ويصبحون في منفاهم بمدينة أفينيون Avignon مدة سبعين سنة وزيادة (1305-1378م). وبذلك تحدث القطيعة الكبرى في الغرب اللاتيني (1378-1417م)، وبدأت المجالس تعقد لتدارك الأمر، وتعلو الأصوات بضرورة الإصلاح، في حين بدأت العامة تتخلى عن البابوية، نتيجة تخليها عن رسالتها الروحية، وانصرافها لممارسة العمل الديني⁽²⁾.

⁽¹⁾ للمزيد انظر: Brett Edward Whalen, the tow Powers, the Papacy, the Empire, the Struggle for Sovereignty in the thirteenth century, 2019, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, P.227.

⁽²⁾ جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، 1984، الإسكندرية، ص 189.

المحاضرة 03: الأوضاع العلمية والثقافية

-الأوضاع العلمية والثقافية:

مما لا شك فيه أن أية أمة من الأمم كانت تأخذ بالعلوم وأسبابها، هذا وإن تعددت العلوم في أنواعها وتفاوتت في درجة تقدمها، حتى وإن لم يرق الكثير منها بأن يكون ذا أهمية. ومن المعلوم أن في الغرب اللاتيني أن الفترة التي أعقبت الغزو الجرمانى خاصة، كانت من أحلك الفترات في تاريخ الغرب الثقافى، حتى وإن كان هناك شعاع من علم فإنه خضع خضوعاً تاماً لسطوة الكنيسة، وهذا نتيجة لزوال السلطة المركزية وازدياد نفوذ البرابرة في مجتمع الغرب اللاتيني. علماً أن سيطرة الكنيسة كان تدريجياً، وأن هذه الأخيرة أقرت تدريس الفنون الحرة على أسس مسيحية، والتي تمثلت في النحو والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى.

ومن الملاحظ أن الجرمان لم يكن لديهم رغبة في التعليم، وهذا حسب ما صرح به زعيم القوط الشرقيين ثيودريك (471-526م) بقوله: "إن الأبناء الصغار الذين يشبون على الخوف من عصا المعلم لم تكن لهم الشجاعة الكافية لمواجهة السيوف والحرب". وعلى هذا الحال ولم يكد ينته القرن السابع الميلادى حتى أصبح التعليم في الغرب تعليماً دينياً خالصاً، داخل المدارس الديرية والأسقفية، واستمر على هذه الحال إلى غاية القرن الثانى عشر الميلادى¹. وبالرغم من هذا التأخر كانت هناك محاولة للنهوض بالتعليم والاهتمام بجميع جوانب الحياة، وهذا في عهد الملك شارلمان (768-814م) في النصف الثانى من القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلاديين، والتي أصبحت تسمى بالنهضة الكارولنجية، أو نهضة شارلمان.

1- النهضة في عهد الملك الإمبراطور شارلمان (768-814م):

¹ عاشور سعيد عبد الفتاح، عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.ص. 124-126.

لم تكن أهمية شارلمان في التاريخ نتيجة الحروب التي خاضها، ولا التتويج الذي استحقه فحسب، بل في الإصلاحات التي قام بها هذا الملك الإمبراطور في مجالات شتى، حتى أصبحت تعرف بالنهضة الكارولنجية. لقد كانت له عناية بميدان الثقافة حتى غدا بلاطه قبلة للمفكرين الذين وجدوا تشجيعاً منه، وخاصة من أيرلندا وإنجلترا وإيطاليا، ومن أشهرهم بطرس البيزي Peter of Pisa وبولينوس Paulinus وبولس Paul الشماس وفي مقدمتهم ألكوين Alcuin، الذي استقدمه شارلمان من إنجلترا، حيث كان له الفضل في بعث الحياة الفكرية في الدولة في أواخر القرن الثامن الميلادي، وقد كانت جهوده عظيمة في خدمة العلم والتعليم⁽¹⁾.

وقد شغل ألكوين منصب رئيس مدرسة البلاط، التي أقامها شارلمان في قصره لتعليم أبنائه وأبناء حاشيته⁽²⁾، بل كان شارلمان نفسه أحد طلاب هذه المدرسة⁽³⁾. ولقد كانت لشارلمان عناية بجمع وبتدوين قوانين القبائل البربرية الخاضعة لنفوذه، بالإضافة إلى تراث الجرمان، وبصفة خاصة الأغاني التي تمجد بطولاتهم، كما بدأ في وضع قواعد النحو باللغة الفرنجية⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى عناية الإمبراطور بميادين التشريع والقضاء والإدارة، إذ أنه أوجد كثير من القوانين لإقرار النظام وتنظيم العدالة والمحاكم. وأهم إصلاح إداري قام به في إمبراطوريته هو زيادة نفوذ المبعوثين الملكيين Missi، بحيث يقوم هؤلاء بتبليغ أوامر الملك الإمبراطور وتعليماته إلى حكام الأقاليم ومراقبة حسن سير الإدارة، وعادة ما يرسل شارلمان اثنين من هؤلاء المبعوثين أحدهما من رجال الإدارة والآخر من رجال الدين، كما يقوم بتغيير وجهتهما من حين لآخر، حتى لا تتوطد علاقتهما بأهالي الأقاليم⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ عاشور، تاريخ، ص ص. 164-165.

⁽²⁾ جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى، ص. 159.

⁽³⁾ عاشور. تاريخ، ص. 165.

⁽⁴⁾ للمزيد من التفاصيل عن إصلاحات شارلمان، انظر: اينهارد، المصدر السابق، ص. ص. 146-147.

⁽⁵⁾ عاشور، تاريخ، ص ص. 165-166.

لم تتوقف نهضة شارلمان عند هذا الحد فحسب، بل مست الجوانب الاقتصادية، ومنها الزراعة بحيث أصبحت الأراضي ضياعا نموذجية تُدر كثيرا من الخيرات، بالإضافة إلى مختلف الصناعات، ومنها المعدنية والجلدية والخشبية. وبدأت تظهر بذور النقابات لتنظيم أصحاب الحرفة الواحدة وحمائهم من التحدي الخارجي، كما كانت له عناية بالتجارة الداخلية والخارجية، وتنظيم المكايل والمقاييس والموازن وسك العملة، فضلا عن الاهتمام بالطرق التجارية وتأمينها، وإقامة الفنادق والوكالات على الطرق الرئيسية، لإيواء التجار ودوابهم وحفظ بضائعهم⁽¹⁾. غير أن النهضة ارتبطت بشخص الملك فعند وفاته لم تواصل هذه الإصلاحات طريقها، بل خفت إشعاعها تدريجيا وعادت الأمور إلى ما كانت عليه من ذي قبل.

2- النهضة في عهد الملك أوتو الأول (936-973م):

لقد عرف الغرب اللاتيني نهضة في عهد الأسرة السكسونية، ويبرز في مقدمتها أوتو الأول Otto I (936-973م) الذي أهتم بالعلم والتعليم، ومن أبرز علماء تلك الفترة برونو Bruno رئيس أساقفة كولونيا، ويدوكند Widukind الراهب بدير كوري Corbey وكذلك هرتسويث Hrotswith (توفيت قبل سنة 984م) الراهبة بدير غاندرشايم Gandersheim، لقد كان ويدوكند السكسوني يشبه في منهجه وكتاباته المؤرخ بولس الشماس في كتابه عن السكسون، الذي أبرز فيه شخصية الإمبراطور، وقد أهدى كتابه هذا إلى ماتيلدا ابنة أوتو العظيم، كما أن الراهبة هروتسويث قد دونت مجموعة من الأشعار باللاتينية، منها أعمال الإمبراطور أوتو الأول، حيث تحدثت عن أعماله وسيرته إلى غاية تتويجه إمبراطورا سنة 962م².

⁽¹⁾ عاشور، تاريخ، ص.ص 166-167. للمزيد عن النهضة الكارولنجية في عهد شارلمان، انظر: ورن هلستر، أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص.ص 111-124.

⁽²⁾ جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1981، بيروت، ص.ص 79-80.

وعلى كل حال فإن التعليم في العصور الوسطى كان متواضعا، ولغته الرسمية آنذاك كانت اللاتينية التي تعد أم للغات الحديثة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وقد كان مجتمع الغرب اللاتيني يسعى على الدوام نحو الأفضل¹. لقد كانت اللغة اللاتينية هي لغة العلوم والتدوين في تلك الفترة، وتضاءل استعمالها حتى أصبحت مقتصرة على رجال الدين. وفي أواخر العصور الوسطى عمد بعض الكتاب والأدباء للكتابة بلغة شعوبهم². ويمكن القول بأن الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الميلادي كان فيها مستوى التعليم والثقافة محدود جدا، حتى أصبح يعبر عن تلك الفترة بعصور الظلام³. لقد كانت الحياة في الغرب اللاتيني تخضع لعاملين هما الكنيسة التي كانت لها السيادة على الحياة الروحية والثقافية هذا من جهة، ومن جهة أخرى سيطرة الإقطاع على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁴.

لقد كانت معلومات الغرب اللاتيني العلمية محدودة إلى غاية القرن الحادي عشر الميلادي، لكن خلال القرن الثاني الميلادي أقبل المجتمع الغربي على مختلف العلوم المترجمة إلى اللاتينية، وخاصة منجزات الحضارة العربية الإسلامية⁵.

لقد مثلت نهضة القرن الثاني عشر الميلادي ثورة في جميع ميادين الحياة، في الحياة الديرية والفنون والحياة الثقافية والفكرية والعلمية والدينية، إذ أنها شهدت حراكا ثقافيا بامتياز، حتى أطلق على تلك الفترة نهضة القرن الثاني عشر، وهذا بعد أن استوعب المجتمع أفضل ما في الحضارة الشرقية، وخاصة العربية الإسلامية، بل أضاف الجديد، ومن مظاهر تلك النهضة ظهور المدن بسكانها الأحرار واقتصادها النقدي وانتعاش تجارتها ونمو الملكيات،

¹ محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى ص.11.

² شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق، إبراهيم تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، ج.1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص.15.

³ أشرف محمد صالح سيد، المرجع السابق، ص.8.

⁴ عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط.3، دار الميخ للنشر، 1993، الرياض،

ص.21.

⁵ محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ص.233.

وقد كان الفضل للحضارة العربية الإسلامية، إذ تدفقت منجزاتها العلمية والفكرية باتجاه الغرب عبر المنافذ التي تمثلت في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الشام. وهكذا أقبل الأوروبيون ينهلون من رحيق هذه العلوم، مما أدى إلى ظهور الجامعات في تلك الفترة لتحتضن هذا الزخم المعرفي وتصبح بذلك منارة للعلم والمعرفة، تعج بالنشاط والحيوية، وأصبحت مثيرة للإعجاب قصدها الطلاب من كل أنحاء الغرب اللاتيني، ومن بين هذه الجامعات نجد جامعة باريس، وبولونيا، وسالرنو وأكسفورد¹. فمثلا لم يكن الغرب على دراية بأبجديات الطب الذي لا يزال على بدائيته²، ولم يتمكن المجتمع الغربي من بناء قاعدة انطلاق صحيحة إلا بعد اتصاله بمنجزات الحضارة العربية الإسلامية وترجمتها إلى اللغة اللاتينية في مختلف مجالات العلوم كالطب والرياضيات والفلك والجغرافيا وغيرها من مختلف المنجزات العلمية³. حتى الفنون الجميلة لم تسلم من القيود المفروضة عليها، فهي في خدمة الكنيسة والشؤون الدينية، إلى أن بدأ الفرد الإيطالي يتوق للتحرر والاستمتاع بالطبيعة وما حَوَتْ، ومن بين الفنون التي برع فيها الفرد الأوربي نجد الرسم والتصوير، ومن الذين برزوا في هذا المجال روفائيل Rophael (1483-1530م) و دافينشي Davicnche (1452-1519م)⁴.

¹ جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات، ص.ص. 92-95، 121، 130.

² نورمان كانتور، المرجع السابق، ج.1، ص.317.

³ للمزيد من التفاصيل عن استفادة الغرب اللاتيني من المنجزات العلمية والفكرية للمسلمين، انظر: زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب"أثر الحضارة العربية في أوربة"، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط.8، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، 1993، بيروت.

⁴ شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص.ص. 17-18.

المحاضرة 4: النهضة الأوروبية الحديثة (المفهوم والجذور)

لقد شهدت أوروبا مرحلة تاريخية هامة، كانت حدا فاصلا بين العصور الوسطى التي تميزت بالجمود الفكري والحضاري في عمومها، وبين عصر جديد تميز بالتطلع لما وراء البحار والخوض في غمار المعرفة والتجربة. إن هذه المرحلة تميزت بإحياء العلوم والمعارف، والتي أُطلق عليها اسم النهضة الأوروبية، والتي ظهرت جلية في القرن الخامس عشر الميلادي. ولدت في إيطاليا وتولت زعامتها حيث ملكت هذه الأخيرة لغة قومية ومناخا مناسباً وحرية سياسية ورخاء اقتصادي نتيجة النشاط التجاري لمدنها كجنوة وبيزا والبندقية وفلورنسا.

1- مفهوم النهضة:

إن ما حدث في أواخر العصور الوسطى يعطينا صورة عن هذا الحراك الثقافي والعلمي والفكري، ويعبر عن حركية المجتمع الغربي وبحثه عن الأفضل، وبالتالي يمكننا أن نعطي تعريفا لهذه الحالة التي عاشها الغرب¹، ففترة الانتقال هذه أُطلق عليها عدة أسماء فتسمى The Decline of Medieval Europe أي تراجع أوروبا العصور الوسطى، وأحيانا أخرى يُطلق عليها اسم النهضة The Renaissance أي بداية أوروبا الحديثة The Beginning of the Moderne Europe، ومصطلح Renaissnce تعني بمفهومها تجدد الميلاد Rebirth أي عودة الحياة أو البعث أو الولادة الجديدة².

وبهذا يكون معنى النهضة هو إحياء للعلوم والمعارف، وقد اعتبر رواد هذه الحركة بأن الفترة السابقة لهذه المرحلة تعد مرحلة جمود حضاري، ويجب إخراج الفرد الأوروبي من هذا المأزق، وفي نظرهم أن الحضارة الحقيقية قد اندثرت بسقوط الإمبراطورية الرومانية العريقة بتراتها

¹ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب

العالمية الأولى، 1999، دار الفكر العربي، ص.7.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.10.

الفكري والحضاري، وهما هي الآن تعود على أيديهم ويمكن بعثها من جديد¹. والنهضة ليست حدثاً معيناً وإنما هي حركة شاملة لجميع الميادين، كما أنها اتجاه جديد في طريقة تفكير أفراد المجتمع، وذلك جعلهم يتحررون تدريجياً من قيود العصور الوسطى².

2- الجذور التاريخية للنهضة الأوروبية:

لا يمكن أن نحدد تاريخاً معيناً لبداية عصر النهضة، ولكن يمكننا أن نلاحظ بعض التغيرات التي حدثت في تلك الفترة فكان لها أثرها على المجتمع، حيث نقلته من فترة العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وقد كان ذلك بين القرنين العاشر والخامس عشر الميلاديين³. إن المعنى الشامل للنهضة هي امتداد واستمرار لما سبقها من تيارات حضارية منذ أواخر العصور الوسطى، بحيث لم يحدث انقطاع لهذه التيارات، غير أن الطور الحضاري الذي عُرف بالنهضة كانت له مؤثرات جعلت منه مرحلة متميزة وأبسط صورة لها هي إحياء التراث الأدبي والفني القديم. وفي الحقيقة أن هذا لا يمثل الطور الحضاري الذي جاءت به النهضة، لأن هذه الأخيرة شملت جميع ميادين حياة المجتمع الغربي، وهذا مغاير تماماً للحياة في العصور الوسطى، فطابعها علماني انبعثت من المدن الأوروبية، لذا قيل "إن النهضة الأوروبية ما هي في الواقع إلا حركة مدن"⁴.

لقد اختلفت فرق المدرسة التقليدية في تحديد بداية العصر الحديث، فهناك من قال أن البداية كانت بعصر النهضة، وذلك في القرن الرابع عشر الميلادي، وهي فترة انتقالية بين عصرين هما العصر الوسيط والحديث. في حين قال آخرون أن البداية كانت في القرن الخامس عشر الميلادي، فهذا القرن كانت فيه أحداث ذات أهمية، ففيه استولى العثمانيون على القسطنطينية سنة 1453م وانتزعوها من البيزنطيين، كما حدث فيه أيضاً سنة 1492م إنهاء

¹ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.7.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.10.

³ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.10.

⁴ عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، ص.ص.16-17.

الحكم الإسلامي في الأندلس (مملكة غرناطة) على يد فرديناند وإيزابيلا، وبهذا بداية العصر الحديث¹.

إن النهضة نتيجة لتبلور أفكار نهاية العصور الوسطى، "إن النهضة حالة عقلية وهي الروح الإنسانية التي ضاقت بالقوانين والمقاييس البالية وتاقت إلى المستقبل لتكشف عن المجهول، فهي روجر بيكون وهو يحاول معرفة كيف يصل إلينا ضوء النجوم، وهي دانتي وهو يعبر بلسان قومه عن رهبة مصير الإنسان وجمال هذا المصير، وهي بترارك ومناجاته للطبيعة، وهي غوتنبرغ وصناعته لآلة الطباعة، وجاليلو وهو يستعمل منظاره المقرب ليكشف عن الكواكب، وفاسكوديجاما وكولومبس وهما يستعملان البوصلة للوصول إلى عوالم جديدة..."². ويقول المؤرخ سعيد عبد الفتاح عاشور: "عصر النهضة هو الذي يمثل فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، ...، ولا يمكننا تحديد بداية زمنية دقيقة لهذه النهضة، ولكن من الممكن القول بأن جذورها ظهرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين لتبلغ أشدها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ثم تستمر ذيولها في صورة حركة الإصلاح الديني والنزاع المذهبي في القرن السادس عشر الميلادي"³.

¹ عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث، من ظهور البورجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة، ج.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تقديم المؤلف، ص.5.

² عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، ص.17.

³ عاشور عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج.2، ص.285.

المحاضرة 5: عوامل قيام النهضة الأوروبية الحديثة

لم تكن النهضة الأوروبية الحديثة وليدة الصدفة فحسب، بل كانت نتاج سعي حثيث للمجتمع اللاتيني وخروجه من جموده الفكري والحضاري، الذي ساد فترة العصور الوسطى وخاصة في بداياتها. وفي فترتها المتأخرة حاول الغرب وجود منفذ من خلاله يرى النور ويحقق لنفسه خروجاً آمناً من العصور الوسطى، التي وصفت بعصور الظلام. والحقيقة أن لهذه النهضة عدة عوامل ساعدت على بعثها، ومن هذه العوامل¹:

1- اتصال الغرب اللاتيني بمراكز الحضارة الإسلامية:

لاشك أن المسلمين بعد فتوحاتهم الإسلامية لكثير من أقطار العالم، واستقرارهم وتفاعلهم مع سكان هذه الأقاليم وعنايتهم بما يخص حياة المجتمع، وخاصة رعايتهم للعلوم والمعارف قد أعطى ذلك دفعا قويا للحضارة الإسلامية، في النشوء والتطور والتأثير على مختلف مناطق العالم.

ولا ريب أن كثير من المناطق المفتوحة، التي استقر بها الفاتحون ومن جاء بعدهم تحولت إلى منافذ لانتقال العلوم والمعارف إلى الغرب اللاتيني، ومن بين هذه المنافذ نجد:

أ- الأندلس (شبه الجزيرة الأيبيرية):

دخل المسلمون الفاتحون إلى هذا الإقليم منذ العقد الثاني من القرن الثامن الميلادي (سنة 711م)، وبدأت عملية الاستقرار تدريجياً وإحياء المدن الخربة وإنشاء القلاع والحصون والمدن الجديدة وزراعة الأرض واستصلاحها، ليس هذا فحسب بل بناء المدارس والمعاهد والجامعات التي تعد منارة للعلم والمعرفة. وبذلك بلغت الحضارة الإسلامية أوجها في تلك البقاع منذ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، فقصدها الطلاب من مختلف أنحاء الغرب اللاتيني من المسيحيين واليهود، وقد اعتنق الكثير منهم الإسلام نتيجة لتعاليمه وسماحته وعدالته. واستمر المسلمون على هذه الحال بالأندلس إلى غاية سقوط الحكم

¹ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.7.

الإسلامي بها سنة 1492م/897هـ¹. فالمسلمون حكموا هذا الإقليم ما يقارب الثمانية قرون، فأصبحت قلعة علم ومنازة للحضارة وازدرت بها الفلسفة والرياضيات والطب والأدب والشعر وغيرها من ضروب العلم والمعرفة².

ومن الحواضر التي لها مكانة في العالم الإسلامي آنذاك قرطبة، التي ازدهرت في جميع جوانب الحياة فقد كانت في عهد عبد الرحمن الثالث أكبر مدن الأندلس وأوروبا آنذاك (890-961م/276-349هـ)، وقد وُجد بها عشرات المدارس والمدارس العليا، بالإضافة إلى المكتبات التي تحتوي على الآلاف من المؤلفات العلمية والفكرية. كما اشتهر الخليفة الحكم الثاني (915-976م/302-366هـ) برعايته للعلماء، فقد كان حريصا على التمازج الثقافي والتبادل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين. وفي فترة ولايته للعهد تمكن الأسقف جودمار الجيروني Godmar Von Gerona من تأليف كتاب بالعربية عن تاريخ الفرنجة، كما أُلّف أسقف قرطبة ربيع بن سعيد كتابا عن العلوم الطبيعية باللغة العربية ترجمه جيرهارد الكريموني Gerhard Von Cremona إلى اللغة اللاتينية.

وقد اختار الخليفة عبد الرحمن الثالث الأسقف ربيع (الذي تسمى فيما بعد باسم ريكيداموندوس) مندوبا عنه سنة 955م للإمبراطور أوتو الأول Otto I. كما كان هناك اهتمام لحكام الأندلس بالعلم والعلماء ومن بين هؤلاء المظفر ملك بطليوس الذي أخرج مائة مجلة نحوية تتضمن كل علوم عصره، بالإضافة إلى ملك سرقسطة المقتدر بالله الذي كان فيلسوفا وعالما في الرياضيات والفلك. وعموما فالإدارة الأندلسية ما من أحد يتولاها إلا وكانت له كفاءة وحبه للعلم والمعرفة³.

لقد وطد العرب سلطانهم في الأندلس بالعلم فاهتموا بالآداب والعلوم والفنون، وأصبحوا بذلك يضاهون إخوانهم في المشرق العربي، بل زادوا على ذلك وابتكروا وجددوا مما أتاح للغرب

¹ سيد عبد الماجد الغوري، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، مؤتمر الحج، المعاني الحضارية في الإسلام، رابطة العالم الإسلامي، مشعر منى، مكة المكرمة، 11 ذو الحجة 1440هـ/12 أغسطس 2019، ص.ص. 8-9.

² عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص. 8.

³ حسن حلاق، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الأندلس، صقلية والشام، ط. 2، دار النهضة العربية، 2012، بيروت، لبنان، ص. 87.

اللاتيني بأن يستقي من تلك العلوم والمعارف وينهل من رحيقها منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي حتى القرن الخامس عشر الميلادي. ولم يتوان الأندلسيون في أخذ علوم الشرق بطرق ثلاث وهي استدعاء العلماء إلى الأندلس أمثال أبي علي القالي وإما إرسال البعثات إلى المشرق ومن أمثلة هؤلاء يحيى الليثي وإما جمع الكتب والمؤلفات بمختلف أنواعها، التي تعد أهم وسائل النشاط العلمي، حتى قيل أن الحكم الثاني "استجلب من بغداد ومصر وغيرها من بلدان المشرق والمغرب عيون التآليف والمصنفات العربية في جميع العلوم بقديمها وحديثها...حتى تضمنت مكتبته الآلاف من الكتب، فكثرت قراءة الناس لكتب الأوائل وتعلم مذاهبهم"¹.

ويؤكد المستشرق ليفي بروفنسال على وجود المؤثرات الأندلسية في الشعر اللاتيني الذي عرف باسم التروبادور Troubadours الذي انتشر في جنوب ووسط فرنسا وفي شمال شبه الجزيرة الأيبيرية وشمال إيطاليا². وقد استمر إشعاع الحضارة الإسلامية بالأندلس وامتد ليضيء الغرب اللاتيني في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وما بعدهما، ومن العوامل التي ساعدت على النهضة بالأندلس سياسة التسامح التي انتهجتها الإدارة العربية الإسلامية تجاه أهل الذمة من المسيحيين واليهود³.

ومن المدن الإسلامية التي وصلت إلى درجة من التقدم طليطلة التي كانت بحوزة المسلمين من سنة 712م/93هـ إلى غاية سقوطها في أيدي النصارى الأسبان سنة 1085م/478هـ، وقد ازدهرت هذه المدينة ازدهارا كبيرا نتيجة العلاقات الحضارية التي نشأت فيها. وقد كانت طليطلة من أهم المراكز العلمية، ومما زادها مكانة تأسيس مدرسة المترجمين بها والجهود المبذولة لترجمة العلوم العربية، وخاصة كتب ابن رشد. وقد كان ميخائيل سكوت Michael Scottus أحد روادها وهو أول من ترجم كتب ابن رشد من العربية إلى اللاتينية. وبهذا مهد الطريق أمام الفلسفة الإسلامية بأن تعبر إلى الغرب اللاتيني والتأثير فيه ومن بين

¹ عاشور عبد الفتاح، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.ص. 488-489.

² نقلا عن حسن حلاق، المرجع السابق، ص.88.

³ عاشور عبد الفتاح، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.ص. 489-490.

المتأثرين بهذه الأفكار توما الأكويني Thomas Aquinos¹. بالإضافة إلى ترجمة موسوعة الشفاء الفلسفية لابن سينا وفصل في الحساب التقليدي، كما ترجمت كتب الغزالي في الميتافيزيقا وكذلك المنطق والفيزياء، وترجمة مؤلفات أرسطو وشروح المسلمين عليه ومختصراتهم له، بالإضافة إلى ترجمة مؤلفات إقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط بشروح علماء المسلمين عليها². كما أن هناك منافذ أخرى كان الفضل لها الكبير على حضارة الغرب اللاتيني في أواخر العصور الوسطى ومنها جزيرة صقلية.

ب- جزيرة صقلية:

لقد كانت هناك محاولات للجيش الإسلامية لفتح هذه الجزيرة، غير أنهم لم يتمكنوا من ذلك، لكن بمواصلة الأغلبة تم فتح صقلية، ففي عهد زيادة الله الأول (817-838م/201-223هـ) الذي أعد العدة لغزو صقلية، الذي أعطى قيادة الحملة إلى قاضي القيروان أسد ابن الفرات. وفي 14 جوان سنة 827م/212هـ انطلقت القوات البحرية الإسلامية من ميناء سوسة، وكان تعداد تلك القوات ما يقارب عشرة آلاف وسبعمئة من المشاة والفرسان، أبحروا على متن مائة مركب، ولم يكن النصر بالأمر اليسير، فقد واجهت المسلمين القوات البيزنطية ذات البأس، لكن تصميم المسلمين على النصر قد أكسبهم قوة وإرادة. وبعد استشهاد أسد بن الفرات سنة 828م/213هـ، تم تعيين القائد محمد بن أبي الجواري، وحال المسلمين حينها لم يكن يبشر بالخير بعد حصار البيزنطيين لهم. ولكن الله منّ على المسلمين إذ وصلهم الممد من إفريقية وبلغ تعدادهم ثلاثمائة سفينة مشحونة بالجنود آزرتهم وجددت عزيمتهم فانتصروا وفتحوا بالرمو العاصمة سنة 828م/213هـ³.

¹ حسن حلاق، المرجع السابق، ص.ص. 93، 97.

² إيمان محمود سقيو، حركة الترجمة من اللغات الشرقية إلى اللغة اللاتينية وأثرها على الحضارة الأوربية في القرنين

12 و13م، دار الآفاق العربية، 2013، القاهرة، ص. 210.

³ حسن حلاق، المرجع السابق، ص.ص. 114-115.

ولم يتمكن المسلمون من إحكام سيطرتهم على الجزيرة إلا بمرور مدة زمنية طويلة تجاوزت نصف القرن، حيث أصبحت صقلية تحت الحكم الإسلامي في عهد الأغالبة¹. ولم يكد ينته القرن الثالث الهجري (297هـ/909م) حتى تمكن الفاطميون من القضاء على الحكم الأغلبي في إفريقية. ومن هناك تمكن هؤلاء من السيطرة على جزيرة صقلية، وتمكنت أسرة الكليبيين المنسوبة إلى الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي من إدارة شؤون البلاد (948-1052م/336-443هـ). وقد تمتعت الجزيرة في عهد الكليبيين باستقلال ذاتي، غير أن صقلية لم يدم استقرارها بعد سقوط الأسرة الكلبية سنة 1052م/443هـ، إذ شهدت اضطرابات وصراعات أهلية كانت جذورها منذ عهد هذه الأسرة، وكان ذلك عاملا من العوامل التي ساعدت النورمان على احتلال صقلية. وبالرغم من زوال الحكم الإسلامي من الجزيرة، إلا أن حضارة المسلمين بقيت ماثلة للعيان، سواء في عمارتهم أو عاداتهم وتقاليدهم وحتى لغتهم، فقد شهدت صقلية أثناء الحكم الأغلبي أو الفاطمي ازدهارا حضاريا في سائر مدن الجزيرة، في بالرمو ومسينا وسرقوسة، وغيرها من المدن الصقلية².

-الانجازات الحضارية العربية الإسلامية في صقلية:

إن فتح المسلمين لهذه الجزيرة واستقرارهم بها، أوجد مجتمعا تعددت أطيافه وأجناسه وتعايش فيه المسلمون مع مختلف العناصر المكونة للمجتمع الصقلي، إذ أنه تألف هذا المجتمع من العرب والبربر والإغريق واللومبارديين واليهود، بالإضافة إلى الصقالبة والفرس والتتار والزنوج، كما تعايشت الديانات السماوية جنبا إلى جنب والمتمثلة في: الإسلام والنصرانية واليهودية، كل يدين بدينه واحترام الآخر³.

وفي ظل الإدارة الإسلامية شهدت الجزيرة تشييد المساجد، والتي تحولت إلى مراكز إشعاع فكري وحضاري، حيث تم تدريس مختلف أنواع العلوم العقلية والنقلية، وأصبحت مدينة

¹ المرجع نفسه، ص. 115.

² المرجع نفسه، ص. 116.

³ حاج عبد القادر يخلف، التاريخ الإسلامي لصقلية في العهد الأغلبي، عصور الجديدة، العدد، 11، 12، فبراير، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص. 177.

بالرمو وحدها تمتلك ما يزيد عن مائتي مسجد وما يقارب ثلاثمائة معلّم¹. إن فتح جزيرة صقلية لم يكن فتحاً عسكرياً بحتاً، بل كان غيثاً أصاب به أسد بن الفرات أفئدة من يتوقون للعلم والمعرفة، إذ أن هذا القائد المحنك والقاضي الفقيه اصطحب معه أثناء حملته على الجزيرة "جماعة من العلماء والفقهاء والشعراء، بالإضافة إلى أعيان من الناس ما لا يأخذه عدٌ ولا يأتي عليه إحصاء"².

وباستقرار المسلمين بالجزيرة وتوطنهم بها، انتشرت القصور والبيمارستانات والأسواق والأسوار والقلاع والقناطر وصناعة الورق والسفن والحريز والكبريت، بالإضافة إلى انتشار فن الفسيفساء، كما تمكن المسلمون من استخراج النفط والرصاص والحديد، كما شاركوا في ميادين التجارة والصناعة³.

وبسقوط الجزيرة في يد الأغلبية يعتبر بداية حقيقية لسيطرة المسلمين على ممرات التجارة العالمية، وبالتالي أصبح البحر الأبيض المتوسط مجالا حيويًا للسفن الإسلامية والربط بين الضفتين الشمالية والجنوبية، وقد كان لهذا أثراً إيجابياً على التجارة ورواجها، وهذا أدى إلى انتعاش الاقتصاد الإسلامي شرقاً وغرباً⁴، كما انتشرت اللغة العربية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد الإسلامية⁵.

وأصبحت جزيرة صقلية قبلة لعلماء المسلمين، كما انتقلت الكتب إليها مع هؤلاء، ونبغ فيها الكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي، فضلاً عن تأليف الكتب في مختلف العلوم، كالفقه والحديث والقراءات واللغة والزهد والتصوف وغيرها من العلوم⁶. وجاء

¹ نفسه.

² علي بن محمد سعيد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 212-484هـ/826-1091م، 1996، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص.511.

³ حسن حلاق، المرجع السابق، ص.116.

⁴ حاج عبد القادر بخلف، المرجع السابق، ص.177.

⁵ حسن حلاق، المرجع السابق، ص.116-117.

⁶ حاج عبد القادر بخلف، المرجع السابق، ص.177-178.

في كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ما يلي: "قدم العرب إلى صقلية من تونس، وحولوا خرائب صقلية إلى حدائق غناء، واستوردوا لها من بلادهم أشجار النخيل وزرعوا فيها أشجار البرتقال والفسنق والموز والزعفران، فحولوا الجزيرة الفقيرة بالقطن وقصب السكر إلى بلد يزخر بالخيرات، وزينوها بالقصور والمساجد الرائعة... كانت تعج بالشعراء والمغنين والفلاسفة والأطباء والعلماء". وفي سنة 970م/359هـ وصل عدد قصورها ومساجدها في بالرمو وحدها ما يقارب ثلاثمائة.

وقد استعمل المسلمون ورقا أبيض في كتاباتهم، وهو أول ورق عرفته أوربا. وفي هذه الجزيرة نظم الشعراء شعرهم الغنائي الرقيق في صورة لم يعرفها لا الإغريق ولا الرومان ولا حتى الجرمان، وانتشر هذا النوع وذاع صيته وكان له تأثير على فنون الشعوب الأخرى¹.

- أثر الحضارة الإسلامية في صقلية على الغرب اللاتيني

إن الانجاز الحضاري الإسلامي في جزيرة صقلية، قد بلغ درجة كبيرة من التقدم والازدهار، نتيجة لسياسة التعايش التي اتبعتها المسلمون في صقلية، بحيث شاركت كل أطراف المجتمع في الحياة بكل حرية، وهذا من شأنه أن يسمح باستقرار الأوضاع، وبالتالي يمكن أن يكون هناك انجازا في مختلف مجالات الحياة بجزيرة صقلية خلال الحكم الإسلامي. ويسقط الجزيرة في أيدي النورمان كانت نظرتهم ثقافية تجاه الإنجاز الحضاري للمسلمين بصقلية، فتوجهت أنظارهم صوب تلك المنجزات والاستفادة منها، بحيث انتهج حكام النورمان سياسة التسامح مع مختلف أطراف المجتمع بصقلية، إذ "سمحت لليونانيين والمسلمين والطلينانيين واليهود بأن يقوم كل من هؤلاء بما يناسبه، وكانت حكومة النورمان تقف على نفس المسافة من هذه المجموعات. وبهذا أصبحت جزيرة صقلية جغرافيا وتاريخيا ملتقى طبيعيا للمدنيات الإغريقية والرومانية والعربية، كما اجتمع فيها تجانس رائع، الفن

¹ زغيريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوربة، ترجمة: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، ط.8، 1993، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص.410.

الهندسي المعماري البيزنطي والعربي والروماني والنورماني، فتشكل من كل ذلك الفن النورماني الصقلي"¹.

المسلمون خلال حكمهم للجزيرة تسامحوا مع مختلف شرائح المجتمع الصقلي باختلاف دياناته وعاداته وتقاليده، وهذا من شأنه أن يسمح باستقرار الأوضاع ومزاولة مختلف النشاطات².

لقد تبنى النورمان سياسة حكيمة لإدارة جزيرة صقلية، وكان ذلك في عهد الكونت روجر الأول Roger (1091-1101م)، واستمرت هذه السياسة طيلة الحكم النورماني للجزيرة، وجوهر هذه السياسة هو الاحتفاظ بالعنصر العربي وتشجيع المسلمين على البقاء بصقلية، وهذا بعد أن أدرك النورمان بأن العرب المسلمين يمثلون العنصر البنيان بالمنطقة. وبناءً على المثال القديم لروما وأثينا، فإذا كانت روما قد فتحت أثينا حربياً، فإن أثينا فتحت روما حضارياً بأدبها وفلسفتها وروعة فنونها. وهذا ما ينطبق تماماً على النورمان في صقلية الإسلامية، إذ أن هؤلاء فتحوها حربياً، فإذا بالجزيرة فتحتهم حضارياً، وأبهرتهم مظاهر الحضارة الإسلامية³. فمنذ أن تولى روجر الأول عرش النورمان بصقلية، عمل على استمالة المسلمين وحمايتهم وأقرهم على دينهم وأعيادهم، كما جند منهم فرقة في جيشه، وقد رفض المشاركة بجيشه في الحملات الصليبية ضد بلاد المسلمين في المشرق، بالرغم من أن البابا كان يلح عليه بالمشاركة فيها⁴.

ويقول الإدريسي بشأن ذلك، أي لما دخل النورمان الجزيرة: "ولما كان في سنة أربع مائة وثلاثة وخمسين (453هـ) سنة من سني الهجرة افتتح غرر بلادها وقهر بمن معه طغاة ولاتها وأجنادها الملك الأجل والهمام الأفضل المعظم القدر السامي الفخر رجار بن تنقرين (تتكريد)

¹ أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، دون تاريخ طبعة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص. 170.

² أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص. 170.

³ خالد الصقلي، الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية خلال فترة الحكم النورماني (462-592هـ/1070-1194م)، دار الأمان، 2012، الرباط،، ص. 104-105.

⁴ حسن حلاق، المرجع السابق، ص. 121.

خيرة ملوك الإفرنجيين... وذلك في مدة ثلاثين عاما، ولما صار أمرها إليه واستقر بها سرير ملكه نشر سيرة العدل في أهلها وأقرهم على أديانهم وشرائعهم وأمنهم في أموالهم وأنفسهم وأهليهم وذرائعهم¹.

وحقيقة فإن الكونت روجر الأول أخذ عن المسلمين النظم التي اعتمدها في حكمهم للجزيرة، بالإضافة إلى أخذه الأساليب الإدارية في حكم البلاد وفي الدواوين والنظم المالية والضرائبية والوظيفية، كما أخذ طريق حصر الأملاك العامة وتسييرها، هذا فضلا عن تأثره بالتنظيمات العربية في المجال العسكري، بحيث اقتبس الأنظمة الخاصة بالجيش البري والبحري واستعمل ذلك في نظامه العسكري في جزيرة صقلية.

وبتحسن العلاقات بين الكونت روجر الأول والبابا، كانت رؤية هذا الأخير بضرورة تنصير مسلمي صقلية، في حين يرى الكونت بأن الزمن كفيل بإيجاد حل لتنصير المسلمين، كما أن هجرة مسيحي شبه الجزيرة الإيطالية باتجاه صقلية كفيل بذلك أيضا. علما أن روجر لم يتردد في إعادة الكنائس إلى وضعها بعد أن تحولت إلى مساجد، غير أنه لم يلحق الضرر بالمساجد التي بناها المسلمون بالجزيرة².

وقد اهتم روجر الأول ببناء القصور ومختلف المباني العمرانية على النمط العربي الإسلامي، فهاهو الكونت يشيد القصور والحمامات قرب قصره الملكي بالعاصمة بالرمو، علما أن زخارف هذه المباني وطرارها المعماري لم يختلف عن الطراز المعماري الأندلسي والعراقي. لقد كانت مملكة النورمان في عهد هذا الملك نصف إسلامية في دينها ونظامها الإداري والعسكري، وفي عهده أيضا كان للمسلمين المقيمين بالمملكة قضاتهم، كما كان لسكان القرى الإسلامية رؤساء يلقبون بالقادة، وكان المسلمون يمارسون عبادتهم بكل حرية في صلاتهم وبممارسة احتفالاتهم الدينية³.

¹ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج.2، 2002، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص.ص، ص.589.

² حسن حلاق، المرجع السابق، ص.122.

³ المرجع نفسه، ص.123.

لقد كانت جزيرة صقلية بمثابة أرض نشأ فيها الاتحاد بين الشرق والغرب، وفي فترة حكم النورمان للجزيرة حدث تزواج بين المسيحيين والمسلمين ونتج عن ذلك جيل جديد يحمل اسم البولاني Pullan¹، الذي تميز بمعرفته للغات عديدة، منها العربية والفرنسية واللايطالية².

لقد كان من الطبيعي أن يندمج النورمان وهم لا يملكون حضارة في ما وجدوه من حضارة عربية راقية، وأما العجيب في الأمر هو ما فعله الصليبيون في بلاد الشام، وخاصة بيت المقدس أثناء الحملة الصليبية الأولى. ومع ذلك وبمرور الوقت اندمجوا مع المسلمين وتأثروا بعاداتهم وتقاليدهم. ولأول مرة في التاريخ المسيحي أظهر النورمان تسامحا مع العرب المخالفين لعقيدتهم المتميزين بشهامتهم ورجولتهم، فكان هذا بالتأكيد سر ما أصاب دولتهم من رقي وازدهار إذا ما قورنت بمثيلاتها في الغرب اللاتيني³.

لقد اختلفت سياسة النورمان في جزيرة صقلية عن سياسة القمع التي انتهجوها في إنجلترا، إذ شهدت الجزيرة حضارة إسلامية مسيحية، نتيجة لسياسة التسامح التي اتبعتها النورمان، وهذه ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ العلاقات بين العرب والغرب.

فقد أخذ هؤلاء عن العرب أصول احتفالات البلاط واستخدمت اللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب اللاتينية واليونانية، وقد كانت المراسيم الملكية تكتب باللغات الثلاث، ويظهر كل شيء في البلاط شرقي العادات والتقاليد من حُجَاب وغلَمان وعبيد وخصيان⁴ (سود وبيض)

¹ غير أن هذا الاسم أطلق أيضا على الجيل الذي نتج عن التزاوج بين الصليبيين والنساء المسيحيات المحليات ببلاد الشام، وبقي هذا الاسم مرتبطا بهم مدى حياتهم، وقد كان سكان الغرب اللاتيني يُطلقون هذا الاسم عن كل لاتيني يدافع عن مصالح الصليبيين المتواجدين في الشام استهزاءً بهم، كما أن هذا المصطلح يعني مسيحيو الشرق. وللمزيد من التفاصيل، أنظر: براور يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس اللاتينية، ترجمة: عبد الحافظ البناء، عين للدراسات، 2001، ص.92، مؤلف مجهول، تنمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان 1229-1261م، ترجمة: أسامة زكي زيد، ط.2، 2001، دار المصطفى للطباعة والكومبيوتر، طنطا، مصر، ص.ص.233-234، حاشية(2). وللمزيد أيضا عن صور التفاعل بين الصليبيين والمسيحيين الشرقيين في بلاد الشام، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ط.2، 1971، مكتبة الأنجلو المصرية، ص.493.

² خالد الصقلي، المرجع السابق، ص.105.

³ زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص.412.

⁴ من الخصي، وهي طريقة متبعة لنزع الأعضاء التناسلية الذكرية أو بعضها من أجل وضع حد لشهوة هؤلاء الرجال وعدم حاجتهم في النساء، وهذا لتوظيفهم في القصور كالخدم، للمزيد من التفاصيل عن هذه الظاهرة، أنظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.3، مكتبة مدبولي، 1991، القاهرة، ص.ص.242-243.

وقيان وعازفين وحريم إلى مراسيم وتشريفات، كما اتخذ ملوك النورمان في صقلية حرسا من العرب ارتدوا لباسا مختلفا عن لباس الحرس النورماني¹.

ولما انتقل الحكم إلى روجر الثاني Roger II (1101-1154م)، إذ أنه سار على نهج أبيه روجر الأول، بل أنه زاد في حرصه ورعايته للمسلمين. وبذلك أحبه المسلمون ومدحوه في شعرهم، وقد اعتبره البعض أنه مسلم سرا، وقد اتخذ لنفسه لقبا وهو "المعتز بالله" المقتدر بقدرته².

ويبين ذلك الإدريسي بقوله: "ثم ورث الملك بعده ابنه الملك المعظم المسمى باسمه المقتفي أثره رجار الثاني، فأقام الدولة وزين المملكة وشرف السلطنة، وأعطى الأمور أقساطها من النظر والفعل المرضي مع نشر العدل وإقامة الأمان"³. كما أن هذا الملك سك نقودا باللغة العربية، بالإضافة إلى اللغتين اللاتينية واليونانية، فضلا عن القرارات باللغات الثلاث، معتمدا على النظام الإداري المتقن الذي تركه المسلمون. وقام بتقليد العرب المناصب والوظائف ذات الأهمية، كما كان له جيش إسلامي يرافقه في كل غزواته وكان له ديوانا عربيا، كما وقع المعاملات الرسمية بعلامة عربية إسلامية وهي: "الحمد لله حق حمده" و"الحمد لله وشكرا لأنعمه"، بالإضافة إلى عبارات مسيحية وهي: "ناصر النصرانية"، كما أعطى اسما لمنتزهه القريب من بالرمو اسم المعتزية⁴.

وقد اتخذت الدولة ثلاثة أنواع من الدواوين، والتي تمثلت في: ديوان المظالم والخاص بالقضايا المرفوعة إليه، كما يوجد ديوان الطراز، وهذا خاص بتطريز الملابس الملكية بالذهب، بالإضافة إلى ديوان التحقيق المعمور، وهذا الديوان يعنى بشؤون الأرض والرقيق، وكل ذلك مسجل في دفاتر Deftarii وهي سجلات تحتوي على كل الاقطاعات ومساحاتها والرقيق الموجود بها، وهذا الديوان يسمى باللاتينية Dohana de secretis، وكلا

¹ خالد الصقلي، المرجع السابق، ص. 107.

² حسن حلاق، المرجع السابق، ص. 123.

³ الإدريسي، المصدر السابق، مج. 2، ص. 589.

⁴ حسن حلاق، المرجع السابق، ص. 123-124.

المصطلحين من أصل عربي، حيث كان يوجد هذا الديوان عند الفاطميين، يشرف على تسييره رئيس أو صاحب الديوان وله كتبة¹.

وقد ارتدى روجر الثاني العباءة العربية الموشحة بالكتابة الكوفية، كما لبس اللباس البيزنطي، وكأنه أراد إقامة التوازن حتى في العادات والتقاليد بين الشعبين الإسلامي والمسيحي، مثل ما وظف المسلمين والمسيحيين في إدارته².

وتقول زيغريد هونكه أن للعرب فضل كبير على هذا الملك: "في جعلهم من روجر الثاني أغنى ملك في أوروبا يوم كان أصغر ملوكها، لقد وُفِّقوا في ذلك بقدرتهم الفائقة على فلاحه الأرض ومهارتهم المتوارثة ونظامهم المالي الضرائبي الدقيق الذي أخذه عنهم، كما اتبع نظامهم الإداري والقانوني وتدفقت على دولته الخيرات، من شمال إفريقية التي ضمها إلى أملاكه... والتي تركها روجر بتسامحه تحت إدارة محليين... وأصبح روجر يلقب بملك صقلية وإيطاليا وشمال إفريقية"³.

ومن سياسته أيضا أنه قرب إليه بعض علماء المسلمين، ومن أمثلة ذلك الإدريسي (493-548هـ/1100-1154م)، إذ أنه دعاه إلى بلاطه والإطلاع على جغرافية مملكة النورمان، بل أنه طلب منه تأليف كتاب عن جغرافية العالم، كما أنه اهتم بالآداب والفنون العربية، كما كان طبيب بلاطه عربيا، ونتيجة لإعجابه بالطب العربي فقد أقر الأساليب الطبية العربية الموجودة في الجزيرة، بل أنه أصدر سنة 1140م قانونا يقضي بإجراء امتحان للأطباء قبل حصولهم على الإجازة، تبعا لما قام به المسلمون من قبل، كما أن روجر الثاني قرب إليه المنجمين ومنهم محمد بن عيسى بن عبد المؤمن الذي كان على دراية بالتنجيم والفلك والهندسة⁴.

¹ إحسان عباس، العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب، 1975، دار الثقافة، ص.ص. 146-147.

² حسن حلاق، المرجع السابق، ص. 124.

³ زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص. 416.

⁴ حسن حلاق، المرجع السابق، ص.ص. 125-126.

ونتيجة لما كان لروجر الثاني من اطلاع على العلوم العربية الإسلامية، وما تميز به من تسامح وإقامة العدل كان ذلك عاملاً مساعداً على امتزاج الحضارتين الإسلامية والغربية، من خلال ما حدث في جزيرة صقلية. وهذا سهل عملية انتقال منجزات الحضارة العربية الإسلامية إلى بلدان الغرب اللاتيني، وقد أصبحت جزيرة صقلية منفذاً له أهميته في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب. وقد قيل عن الملك روجر الثاني بأنه كان سلطاناً عربياً بتاج إفرنجي. وإذا كان هذا الملك متسامحاً مع المسلمين فإنه أيضاً في أواخر حياته غير سياسته تجاههم فقد بدأ يطبق سياسة عنصرية قامت على التعصب والاضطهاد الديني، فقد اتبع سياسة تهدف إلى تنصير المسلمين واليهود، وقد برر البعض انتهاجه لهذه السياسة، بأن هذا الملك اضطرب نفسياً نتيجة فقدته لثلاثة من أبنائه، كما أن تنامي قوة الموحدين في الغرب الإسلامي، وربما يكون هناك تواطؤاً بين مسلمي الجزيرة والموحدين، وبالتالي تأثير على مملكة النورمان. وقد سار ملوك النورمان بعد روجر الثاني على سياسة التسامح والاهتمام بالعلوم العربية الإسلامية، حتى وإن تباينت سياستهم تجاه مسلمي الجزيرة، سواء كان ذلك في عهد وليم الأول William I (1154-1166م) أو وليم الثاني William II (1166-1189م)¹.

وبولاية الإمبراطور هنري السادس (1194-1197م) عرش صقلية انتهت الحقبة النورمانية بالجزيرة، لتبدأ ولاية الأسرة السوابية Swabian². هذا الإمبراطور الذي أصبح وصياً على عرش صقلية كونه زوجاً لابنة الملك روجر الثاني، لكن السكان رفضوا ذلك فتولاها لفترة قصيرة الأمير تنكريد Tancard وفي عهده وقعت مذبحة للمسلمين سنة 1189م وبدأت الأوضاع تضطرب وأصبح وجود المسلمين في الجزيرة غير آمن، لذا كانت هجرتهم نحو بلاد الغرب الإسلامي والمشرق. وبولاية الإمبراطور فريديك الثاني Frederick II (1198-1250م) عرش ألمانيا ومملكة الصقليتين (نابولي وجزيرة صقلية) يكون بذلك انتهى حكم النورمان بالجزيرة، ليصبح في يد أسرة الهوهنشتاوفن Hohenstaufen

¹ حسن حلاق، المرجع السابق، ص.ص. 126-132.

² عزيز احمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: احمد توفيق الطيبي، 1980، (د.د.ن)، (د.ب.ن)/ ص.94.

الألمانية، ولكن كان هناك توترا له نتيجته وخيمة على مسلمي صقلية، إذ أن الإمبراطور واجه ثوراتهم وقتل منهم الكثير وتم ترحيل مسلمي الجزيرة إلى لوشيرة Lucera الواقعة في مقاطعة أبولية Apulia، كما أخذ منهم إلى نصيرة Nocera وجيروفالكو Girofalco، وبالرغم من ذلك فإن فردريك لم يستطع التخلي عن المسلمين، وخاصة في لوشيرة، إذ أنه جندهم في جيشه ووكّل إليهم مهام عسكرية، كما وظف غيرهم من المسلمين المهرة في الصناعة الحربية. وقد كان فردريك شغوا بتعلم اللغة العربية، كما أن للتراث العربي النورماني أثر بارز في تكوين شخصية هذا الإمبراطور الذي أمر بترجمة المنجزات الأدبية والعلمية للمسلمين، وأقام علاقات مع الأيوبيين في مصر والشام¹.

ومن مظاهر التبادل الحضاري والثقافي التي استفادت منه صقلية من الحضارة العربية، الكتاب المعروف باسم الرسائل الصقلية وهي مجموعة مسائل بعث بها الإمبراطور فردريك الثاني إلى علماء المسلمين، وتم الإجابة عنها من قبل الفيلسوف الأندلسي ابن سبعين بأمر من خليفة الموحدين عبد الواحد الثاني الرشيد (1233-1242م/633-639هـ)، كما كان عند فردريك فيلسوفا يتقن العربية والإسبانية اسمه ميخائيل سكوثس Michael Scotus الذي ترجم له كتاب الحيوان، بالإضافة إلى كتب أخرى. كما كان هناك مترجمون آخرون من اللغة العربية إلى اللاتينية، بحيث ترجموا كتاب البيطرة والشروح لابن رشد وغيرها². بالإضافة إلى ما قام به اليهودي يعقوب سنة 1232م بترجمة شروح ابن رشد وتعليقه على أربعة كتب من كتب أرسطوطاليس إلى العبرية، كما ترجم كتاب القرغاني في علم الفلك، بالإضافة إلى ترجمة اليهودي بوناكوسا Bonacossa لكتاب ابن رشد الكليات في الطب، فضلا عن ترجمة برافيكوس Paravicinus لكتاب التيسير لابن زهر الأندلسي، وقد كان الإمبراطور منفريد Manfred ابن فردريك كان شغوا بحب المعرفة الإسلامية واليونانية، إذ أمر أنه بارثولوميو Bartholomew المسييني بترجمة كتاب الأخلاق

¹ حسن حلاق، المرجع السابق، ص.ص. 135-137.

² المرجع نفسه، ص. 140.

لأرسطوطاليس إلى اللاتينية، وقد قام هيرمان Hermann الألماني بترجمة التعاليق العربية على ذلك المصنف.

وفي عهد أسرة أنجو Anjou وخاصة في عهد شارل أنجو Charles D'anjou (1266-1285م) الذي اهتم بالترجمة، حيث تمت ترجمة كتاب الحاوي للرازي¹.

إن التأثير العربي الإسلامي في فكر رواد الفكر النهضة كان واضحاً، إذ أن دانتي أليجييري Dante Alighieri (1265-1321م) اهتم كثيراً بالشعر العربي والتصوف والفلسفة الأندلسية، وخاصة فلسفة ابن رشد، كما كان تأثير أبي العلاء المعري وابن عربي واضحاً في أشعار دانتي².

إن دور صقلية وازدهارها الحضاري في العهد الإسلامي وسيطرة النورمان عليها واهتمام ملوكها ومن تولى عرشهم من بعدهم أو من استولى على الجزيرة فيما بعد، أدى إلى قيام النهضة الإيطالية. كما أن الفكر العربي الإسلامي بدأ يتسرب إلى الحياة اللاتينية في أواخر القرون الوسطى. وبذلك شكلت صقلية منفذاً ذا تأثير وجسر عبور للتراث الشرقي الإسلامي باتجاه الغرب اللاتيني³.

3-بلاد الشام (عصر الحروب الصليبية):

لقد تعرض المشرق الإسلامي وخاصة الشام للحملات الصليبية التي شنها الغرب اللاتيني على هذه المنطقة، بحجة استرجاع المقدسات الدينية المسيحية، غير أن الحقيقة عكس ذلك، فهم بحاجة إلى ثرواته وخيراته المتنوعة، كما أطلقوا عليها أرض العسل واللبن. استمرت هذه الحملات التي نتج عنها استيطان المنطقة ما يقارب القرنين من الزمان، حينها كان الغرب اللاتيني يسير بخطى بطيئة في ظلمات العصور الوسطى، في حين أن العالم الإسلامي قد بلغ درجة من التقدم الحضاري في جميع مجالات الحياة، علماً أن المسلمين قد كانت لهم عناية بعلوم الأقدمين، إذ أنه في العصر العباسي الأول نشطت حركة الترجمة، ففي عهد

¹ عزيز أحمد، المرجع السابق، ص.ص. 104-105.

² حسن حلاق، المرجع السابق، ص. 142.

³ حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص. 178.

ال خليفة المأمون العباسي (786-833ن/170-218هـ) كان يقدر ما يترجم لصاحبه بوزنه ذهباً¹.

إن دل هذا فإنما يدل على اهتمام المسلمين بالعلم والعلماء، وبذلك تمكنوا من دنياهم وشيدوا حضارتهم. وفي الحقيقة لم تتح للصليبيين حياة الاستقرار في المشرق لمباشرة نشاطهم الفكري والحضاري، كما لم تتح لهم فرصة الاتصال السلمي بالعرب بالقدر الذي أتيح لإخوانهم الأوربيين في الأندلس وصقلية. علما أن الصليبيين استطاعوا تأسيس كياناتهم الاستيطانية في الشام، ولكنها في ظل محيط غير مستقر تملكته حياة الرعب والاستنفار وبالتالي لم تستقم معه بأية حال من الأحوال الحياة الفكرية والعلمية ذات الأثر².

فمملكة بيت المقدس قلب الاستيطان الصليبي في الشام فقد كانت وكرا حربيا للصليبيين تسوده الخشونة خاليا من الروح لم يتيسر لها الوقت الكافي للقيام بنشاط علمي وفكري³. ويقول أرنست باركر: "...وتتأثر اللاتين في شريط ضيق على طول الساحل، كان عليهم أن يحموه من غارات المسلمين. وهم وإن أحسوا بأنهم كانوا يعيشون في كنف بيت المقدس حمى عقيدتهم، فإنهم كانوا بعيدين عن مراكز حضارة العصور الوسطى في روما وباريس⁴. ويستطرد قائلا: "ولو كانت لديهم القوة ليأخذوا فما هي تلك الحضارة الإسلامية التي كانت تجاورهم ويستطيعون الأخذ منا"⁵.

إن المؤرخ أرنست باركر في عباراته هذه يحاول التقليل من الانجاز الحضاري للمسلمين، بينما في عباراته الأولى يظهر المراكز الحضارية في الغرب اللاتيني مثل روما وباريس. في الحقيقة أن العالم الإسلامي أصابه الركود والجمود الحضاري غير أنه لا يزال قادر على العطاء.

¹ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.7-8.

² عاشور سعيد عبد الفتاح، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.485.

³ أرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد علي عيسى، في تراث الإسلام، ج.1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936، ص.106.

⁴ باركر، المرجع السابق، ص.107.

⁵ باركر، المرجع نفسه، ص.107.

وفي عصر الحروب الصليبية تميز بنوع من الجمود الفكري في المشرق الإسلامي، حيث تراجع الإقبال على الفلسفة عند وفاة ابن سينا سنة 1037م/427هـ وأبي حامد الغزالي سنة 1111م/505هـ، كما أن الخليفة العباسي محمد المقتفي لأمر الله (ت.555هـ/ 1151م) في بغداد أمر سنة 1150م/554هـ بإحراق المؤلفات الفلسفية، من بينها كتب ابن سينا، ولكن إذا ما نظرنا إلى فترة الحروب الصليبية سنجد هناك نشاطا فكريا لبعض رواد الكتابة التاريخية منهم وليم الصوري، كما يوجد هناك من كتبوا في القانون أمثال حنا الأبليني John of Ibelin وفيليب نافارى Philip of Novara، كما كان هناك عبور لبعض المصطلحات اللغوية العربية إلى اللغات الغربية، كما أثرت الحروب الصليبية في تطوير فن الحرب عند الغربيين، وخاصة بناء القلاع ذات الجدران المزدوجة، واستعمال المجانيق والكباش (آلة تصنع من الخشب لدك حصون القلاع) واستخدام الدروع للفرسان وخيولهم، واستعمال الحمام الزاجل في المراسلات، وألعاب المبارزة، وكذلك استعمال الشارات والرنوك¹، وهذا نتيجة اتصال الغرب بالعرب².

والحقيقة أن الحياة العلمية في المشرق خلال العهد الصليبي قد شهدت بروز الكثير من العلماء في مجالات مختلفة في الفقه والحديث والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفك والكيمياء، فضلا عن علوم أخرى.

فمثلا الرياضيات ألف علي بن خليفة كتابا سماه الموجز المفيد، كما ألف نجم الدين اللبودي (ت.621هـ) كتابا في الحساب سماه كافية الحساب وكتابا آخر في الجبر والمقابلة سماه الرسالة الكاملة، كما اختصر في الهندسة كتاب إقليدس، بالإضافة إلى وجود مهندسين بارعين منهم إبراهيم بن غنائم المصري، وكذلك في الكيمياء.

¹ هو الشارة أو الشعار من النقوش يتخذه الأشراف ليعرفوا به، وجمعه رنوك والكلمة فارسية رنك والتي تعني اللون، وقد كان اللون يلعب دورا أساسيا في رسم الشارات، كما يستعمل في التمييز بين الشارات المتشابهة من حيث الشكل وخاصة المتعلقة بوظائف الأمراء، وقد استخدمت منذ القرن السادس الهجري (القرن 12م) إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري (القرن 18م). للمزيد من التفاصيل، انظر: محمد مصطفى محمد الحازمي، الألقاب والكنى والرنوك والشارات عن المسكوكات الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد 3، أكتوبر 2016، جامعة المرقب، ليبيا، ص.206.

² عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.ص.485-486.

وقد اهتم علماء آخرون إلى اختراعات حربية، ومنها الاختراع الذي احرق أبراج الإفرنج على أبواب عكا. لقد كان الطب الشرقي متطورا أخذ عنه الإفرنج الكثير، ليس هذا فحسب، بل أصبح الأطباء المسلمون يعالجون حتى الحيوانات وهو ما يعرف بالطب البيطري، في تلك الأثناء لا يزال الإفرنج يرزحون تحت قيود العادات والتقاليد والعلاج الوهمي¹.

وهذا ما يؤكد أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار بقوله: "أن صاحب حصن المنيطرة (قريبا من طرابلس شمالي لبنان) طلب من عمي عز الدين أبو العساكر، أن يُرسل طبيبا يعالج مرضى من أصحابه، فأرسل له طبيبا نصرانيا يقال له ثابت فما غاب عشرة أيام حتى عاد، فقلنا ما أسرع ما داويت المرضى، فقال: احضروا عندي فارسا طلعت في رجله دُملة (ورم)، وامرأة قد لحقها نشاف(البله)، فأما الفارس فعملت له لَبْخَة ففتحت الدملة فصلحت، وَحَمَيْتُ(من الحمية) المرأة ورطببت مزاجها، فجاءهم طبيب إفرنجي قال لهم هذا ما يعرف شيء يداويهم. وقال للفارس أيهما أحب إليك أن تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين، فقال الفارس أعيش برجل واحدة، فقال أحضروا لي فارسا قويا وفأسا حادة، ووضع رجله على جذع جافة وضربه مرتين حتى سال مخ ساقه فمات في حينه. ونظر إلى المرأة فقال هذه في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها ففعلوا، فعادت تأكل من مأكلم الثوم والخردل، فزاد بها النشاف، فقال الشيطان قد دخل في رأسها، فأخذ موسى وشق رأسها وسلخه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح فماتت في ساعتها"².

وقد كان للحروب الصليبية دور كبير في تنشيط الحركة التجارية بين الشرق والغرب، وأثر ذلك على الأحوال العامة للغرب الأوروبي، فنلاحظ انتقال نباتات وحاصلات وأشجار جديدة من شرق البحر الأبيض المتوسط إلى غربه، مثل السمس والأرز والليمون والبطيخ والثوم، هذا بالإضافة إلى انتشار العديد من العقاقير والأصبغ والتوابل في الغرب اللاتيني.

¹ حسان حلاق، المرجع السابق، ص.ص. 235-236.

² أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تدقيق وتعليق: عبد الكريم الأشتر، ط.2، المكتب الإسلامي، 1424/2003، بيروت، دمشق، عمان، ص.ص. 220-221.

كما استعملوا الأقمشة والملابس العربية واحتفظت بأسمائها العربية في اللغات الأوربية¹، مثلاً كالمنتج البغدادي والدمشقي².

ويرجع المؤرخ ولز أن العرب المسلمين لا يزالون قادرين على العطاء العلمي والمعرفي حتى القرن الثالث عشر الميلادي، أي قبل النهضة، حيث يقول: "...ثم تمزق شمل العرب وضعت شوكتهم، ولكن هذا الارتباط الفكري بين أصقاع العالم الناطق بالعربية دام بعد ذلك التمزق طويلاً. وكان لا يزال ينتج في القرن الثالث عشر نتائج عظيمة جداً". ويضيف قائلاً: "لقد تم للعرب في حقول المعرفة الرياضية والطبية والطبيعية ضروب كثيرة من التقدم. فنبذت الأرقام الرومانية القبيحة وحلت محلها الأرقام العربية، التي نستعملها إلى يومنا هذا، واستعملت علامة الصفر لأول مرة. ولا يخفى أن اسم الجبر لفظ عربي، وكذلك كلمة كيمياء"³

2- شخصية أعلام النهضة الأوربية:

كانت هناك عوامل أخرى منها شخصية أعلام النهضة، فقد كانت شخصيتهم متميزة إذ أنهم من الطراز المبدع لا المقلد، وأطلقوا لأنفسهم العنان في قراءة ومعرفة العلوم المختلفة ووضع التعديلات الممكنة دون تقييد وهذا جعلهم يتحررون من العصور الوسطى. وقد كان للحركة الإنسانية دوراً كبيراً في ذلك التحرر إذ أن رواد الحركة كانوا يبحثون عن القديم بكل شوق دون النظر إلى المقابل المادي، بعد أن يجدوا ما يبحثون عنه يصفون عليه صبغتهم الخاصة⁴.

3- انتقال بعض المفكرين من اليونان باتجاه إيطاليا:

نتيجة لفتح القسطنطينية على يد العثمانيين سنة 1453م، على ما يبدو كانت هناك هجرة نحو إيطاليا، علماً أنه كان تواصل بين القسطنطينية والمدن الإيطالية. ومن أمثلة ذلك

¹ عاشور عبد الفتاح، أوربا العصور الوسطى، ج.2، ص.486.

² باور يوشع، عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم، محمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1999، القاهرة، ص.174.

³ ولز، ه.ج.، المرجع السابق، ص.ص.206، 208.

⁴ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.8.

العالم اليوناني مانويل كيزلوراس Manuel Chrisoloras¹، الذي كان يحاضر في جامعات فلورنسا وميلان وكان ذلك بين عامي 1397 و 1400م، بالإضافة إلى العالم بيساريون Bessarion²، الذي جمع حوالي ستمائة وثيقة ودخل بها إيطاليا، والتي تعد مصدرا هاما للعلم والمعرفة والوصول إلى الحقائق. لقد كان لهؤلاء دور في تخصيص الفكر الغربي وذلك من خلال المحاضرات التي تم تقديمها في مختلف الجامعات الإيطالية³، كما كان للعالمين الإنسانيين جورج الطريزوني وثيودور غازا الفضل الكبير في نشر الثقافة اليونانية، وذلك عن طريق تقديمهم للمحاضرات في أكاديميات إيطاليا⁴.

¹ وُلد مانويل كريسولوراس حوالي عام 1350م في القسطنطينية، وكان له تأثير كبير على علماء الإنسانية في فلورنسا، حيث درس هناك من عام 1397م إلى عام 1400م. وكان رواد علماء الإنسانية الهيلينية الفلورنسيين في ذلك العصر، ومنهم غوارينو الفيروني Guarino of Virona وليوناردو برونو Leonardo Bruni، تلاميذه في دراسة اللغة اليونانية والأدب الكلاسيكي. لقد علمهم مهارات الترجمة وتحليل النصوص، مما غرس فيهم حب الأدب اليوناني. وكثيراً ما كانت النصوص التي استخدموها مأخوذة من مكتبة مانويل المهمة، التي نقلها معه إلى فلورنسا. حظيت مهاراته الدبلوماسية بتقدير الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس Manuel II Palaiologos (حكم من 1391م إلى 1425م)، الذي أصبح صديقاً ومستشاراً له. بعد ذلك اعتنق المذهب الكاثوليكي، وفي أواخر حياته، عاش في البندقية وروما؛ توفي في 15 أبريل سنة 1415م، أثناء انعقاد مجمع كونستانس Constance (1414-1418م). للإطلاع انظر: Encyclopedia of the medieval world, P.177

² ولد بين سنتي 1400م و 1408م، بمدينة طرابزون Trebizond، اسمه الأصلي باسيل Basil، تلقى تعليمه في القسطنطينية Constantinople على يد أساتذة مثل جورج كريسوكوكس George Chrysococces وجورج جيمستوس بلثون George Gemistos Plethon. وأصبح راهباً في عام 1423م وأخذ اسم بيساريون. بعد أن أمضى بعض السنوات في دير القديس باسيليوس ST.Basileios في القسطنطينية، أصبح بيساريون أسقفاً لمدينة نيقية في عام 1437م في آسيا الصغرى. دُعي بيساريون لحضور مجمع فيرارا/فلورنسا في عامي 1438/1439 وكان نشطاً للغاية في دعم اتحاد الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية مع الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية، مؤكداً أن اختلافهما قليل جداً. انحاز بيساريون في النهاية إلى الكاثوليكية والبابا أوجينيوس الرابع Eugenius IV، الذي جعله كاردينالاً، ومع ذلك حافظ على الأخلاق الأرثوذكسية. قضى بيساريون بقية حياته في إيطاليا، حيث عُيّن في عدة مناصب كنسية، بينما كان مرشحاً للبابوية مرتين في سنة 1455م، و 1471م. في عام 1465 حصل على لقب بطريرك القسطنطينية من البابا بيوس الثاني. للمزيد عن شخصية بيساريون وتأثيره خلال هجرته إلى الغرب. انظر: Encyclopedia of Medieval Philosophy, philosophy between 500-1500, Edit., Henrik Lagerlund, Springer, London, N.Y., 2011, PP.146-147. انظر أيضاً: المهاجرون اليونانيون في الغرب Jonatha harris, Greek emigres , 1400-1520.

in the West

British Library, 1995.

³ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.9.

⁴ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.31.

4-النشاط التجاري وظهور المدن:

إن الحروب الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، كان لها أثر على تراجع الإقطاع تدريجياً، فقد قضت هذه الحرب على كثير من أمراء الإقطاع فأدى ذلك إلى تفرغ الكثير من رقيق الأرض إلى التجارة والصناعة، ولما بدأت التجارة في الانتعاش تبع ذلك تدريجياً ظهور المدن، ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي بدأت الحركة الفكرية في الانتعاش، وهذا نتيجة لوفرة الثروة واتساع الآفاق الاقتصادية. ومن هنا بدأت طبقة جديدة بالظهور ألا وهي الطبقة البورجوازية التجارية، وكانت ضواحي Bourg هؤلاء التجار قرب الحصون والذين عملوا على تحصينها وتقويتها، وبذلك أطلق على هؤلاء التجار اسم مرادف لكلمة تاجر سمي فيما بعد باسم برجوازي Bourgeois، لقد كان لهذه الطبقة السيطرة على المجتمع لما في يدها من الثروة، وأصبحت المدينة مركزاً تصب فيه المواد الأولية، وبذلك حلت الصناعة مكان الحرف المتنقلة، ونهضت مدن أخرى في الغرب اللاتيني منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي¹.

إن نشاط المدن والموانئ الإيطالية مع الشرق والغرب أضفى عليها صبغة عالمية، وقد أكسب ذلك الإيطاليين ثروة طائلة، كما ساعد ذلك على ظهور العملة والمصارف والشركات وعمليات التأمين. بمعنى المساعدة على ازدهار النظام الرأسمالي ورغبته في الحرية التامة في عمله وحركته، لذا بقيت الأرستقراطية في المدن تعمل وفق منهج مختلف عن الكنيسة والإقطاعيين، وبذلك ستتقلب الموازين فأوحى ذلك بميلاد عهد جديد بداية من التجارة والموانئ في إيطاليا ليمتد تأثيره إلى باقي أنحاء أوروبا².

5-اختراع آلة الطباعة:

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 6-7.

² يحيى جلال، المرجع السابق، ص.ص. 267-268.

لقد ساعد اختراع آلة الطباعة من طرف يوحنا جوتنبرغ 1397-1468م على نشر الأفكار وأصبحت عملية طبع الكتب عملية سهلة، وبهذا زاد المنتج العلمي والفكري مما سهل على الإنسانين تأليف الكتب ونشرها فأصبحت في متناول الجميع¹.

6- انحلال البابوية وضعف الكنيسة:

لقد كان للكنيسة سيطرة تامة على الحياة الدينية والثقافية والفكرية في الغرب اللاتيني، وانصب جل اهتمامها على الدراسات اللاهوتية والأدبية والفلسفية ولم يعط أولوية للعلوم ولو بشيء قليل. وأصبحت البابوية تستغل نفوذها وقام البابوات بتعيين أقاربهم في الوظائف الدينية والتوسع في حياة البذخ والترف وبناء الكنائس والكاتدرائيات وزخرفتها وانحرفت عن واجبها المقدس. وبهذه المفاصد ظهرت فئة من المثقفين تحملت مسؤوليتها وإزالة المفاصد والعودة بالمسيحية إلى ما كانت عليه من ذي قبل. وعليه يمكن اعتبار هذا الفكر الحر نتيجة لنمو وتطور العقلية الأوروبية، وهو أقرب للحياة الدنيوية نتيجة لاتساع المدن وتعدد أنشطتها التجارية والصناعية والاحتكاك والامتزاج بالشعوب الأخرى، وأن الفرد الأوروبي أصبح أكثر استيعاباً لفكرة الوطنية وانتمائه لوطنه وقومه، وهذا جعله أكثر بعداً عن الكنيسة والبابوية².

7- الحركات الدينية والعلمانية المناهضة للكنيسة:

قامت في الغرب اللاتيني حركات دينية وعلمانية، هدفها الرجوع بالكنيسة إلى حياتها الأولى، حياة الصفاء والبساطة في الأسلوب والتطبيق. وقد تبنى هذه الفكرة جماعة من المثقفين الكنسيين والعلمانيين، كالأمرأ المعارضين لاتساع نفوذ البابوية على حساب سلطتهم السياسية، وظهر ذلك في شخص الإمبراطور فردريك الثاني³، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة، الذي وقف في وجه البابوية وناصبها العداء.

¹ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.9.

² عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.ص.24-25.

³ هو ابن الإمبراطور هنري السادس وأمه ابنة روجر الأول (1085-1111م) ملك صقلية النورماندي، ورث عرش المملكة سنة 1198م وهو في الرابعة من عمره، وكان البابا إنوسنت الثالث (1198-1216م) وصياً عليه، تربي

ويعد ذلك نقطة تحول في التاريخ الأوروبي، لأنه زعزع الكنيسة وأسقط هيبتها، وهذا الحدث من أهم الأسباب التي أدت إلى انحلالها. كما كان للهيئتين الدينيتين الفرانسيסקان والدومينيكان همّ في إصلاح مفاسد الكنيسة¹، ولكن على ما يبدو أن الكنيسة تعاملت مع هؤلاء بما تراه يتمشى مع مصالحها، وحينما دعا فرنسيس الأسيسي (1180-1226م) إلى العودة إلى حياة الزهد والتقشف والعبادة أضطهد أتباعه الفرانسيסקان وسُجنوا وقُتلوا، كما أن جماعة الدومينيكان التي أسسها دومينيك (1180-1221م) الداعمة للبابا إنوسنت الثالث الذي أراد أن يُنزل العذاب بكل من يحمل فكراً حراً².

ويقول ويلز بشأن الكنيسة وتراجع نفوذها وسلطانها: "ولو اطلعت على قصة تدهورها لما حدثتك بظهور أي عدو كفء لها ناصبها العداء من الخارج، بل من الانحلال الذي ينخر فيها من الداخل"³.

الملك الصغير في صقلية وتأثر بالفكر الإسلامي . ناصب فريديريك العداء للبابوية وركز على إظهار مفاسدها وراسل أمراء أوروبا يستنهضهم ضد الكنيسة وتقليم أظافر البابا الذي يتدخل في كل شيء. انظر: عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.26، حاشية (6). للمزيد من التفاصيل انظر: Key figures in Medieval Europe an Encyclopedia, edit., Richard, K. Emmerson, Routledge, New York, London, 2006, PP.274-276.

¹ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع نفسه، ص.26.

² ويلز هيربرت جورج، موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، 2002، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص.227.

³ ويلز، المرجع نفسه، ص.227.

المحاضرة 6: إيطاليا مهد النهضة الأوروبية الحديثة

بعد اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، بقيت إيطاليا محتفظة بالتراث الروماني، الذي لا يزال ينبض بروح الحياة اللاتينية في الفترة الغابرة. ولقد كانت إيطاليا من دول الغرب اللاتيني سباقة لحركة النهضة، وقد كانت هناك عدة أسباب لظهورها بإيطاليا ثم بعد ذلك انتشارها في باقي ربوع الغرب الأوربي ومنها:

1- الرخاء الاقتصادي في مدن شبه الجزيرة الإيطالية:

لقد عاشت المدن الشمالية من شبه الجزيرة الإيطالية انتعاشا اقتصاديا وفكريا منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وهذا بفضل تفوقها وسيطرتها على النشاط التجاري بين الشرق والغرب عقب الحروب الصليبية، فقد كانت مظاهر الحياة في إيطاليا تختلف عن غيرها في أنحاء الغرب اللاتيني، إذ أنه في إيطاليا ساد النظام الرأسمالي عكس ما كان في باقي أوربا من نظام إقطاعي الذي يعتمد على الزراعة، الذي كان تحت سيطرة النبلاء الإقطاعيين ورجال الدين، بينما في الدويلات الإيطالية فقد أصبح الحكم لذوي النفوذ في المدن. وبهذا أصبح التحول ممكنا من تقاليد العصور الوسطى وتكشفها إلى التمتع بالحياة الدنيوية والبحث عن ما هو أفضل¹.

فوجد مثلا جنوا وفلورنسا والبندقية قد ذاع صيتها في عالم التجارة بين الشرق والغرب، وقد أكسب ذلك هذه المدن ثروة طائلة، وأصبحت حياة الفرد الإيطالي أيسر فبإمكانه أن يقرأ ويتنزه ويعمل أعمالا أخرى، وذلك زاده اهتماما أكثر بحياته عكس الفلاح الذي يبقى طول اليوم في عمله، وتوفر لديه في المدينة وسائل الراحة والمتعة².

2- إحياء التراث الكلاسيكي:

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.12.

² يحيى جلال، المرجع السابق، ص.ص.267-268.

لقد كانت إيطاليا مهد الحضارة الرومانية التي تميزت بانجازاتها، وخاصة الأدبية والفنية والعمرانية، ومن الطبيعي أن يكون لذلك أثر على الفرد الإيطالي، فتولد لديهم الشعور بالعظمة وأنهم حفدة الرومان وورثتهم، وهم الأجداد بإحياء تراثهم واستعادة أمجاد آبائهم وأجدادهم¹. وقد ساعد على ذلك السلام الذي ساد في إيطاليا مما وفر للمجتمع الإيطالي مناخا مناسباً للبحث والتتقيب².

3- الحالة السياسية لشبه الجزيرة الإيطالية:

لقد كانت إيطاليا منقسمة على نفسها، حيث بها العديد من الدويلات تحكمها أسر تتنافس فيما بينها وتشجع على الآداب والفنون³، فنجد مثلاً أسرة مديتشي Medici التي تولت إدارة الحكم في فلورنسا، وأسرة فيسكونتي Visconti التي تولت حكم ميلان Milan (1277-1477م)، وأسرة بورجيا Borgia التي حكمت بيد من حديد الولايات البابوية. وقد لجأ الكثير من حكم هذه الأسر إلى الاستبداد في الحكم. وقد أطلق عليهم اسم الطغاة وعلى حكمهم حكم الطغاة، وبالرغم من أسلوبهم وطريقتهم في الحكم إلا أنهم شجعوا العلماء والأدباء والفنانين وأغدقوا عليهم بالمال، وقد كان بلاط الحكام قبلة لهؤلاء الأعلام وهذا ما ساعدهم على النبوغ والإبداع والإنتاج⁴.

4- الموقع الاستراتيجي لإيطاليا:

تمتاز شبه الجزيرة الإيطالية بموقعها الاستراتيجي، حيث تتوسط البحر الأبيض المتوسط، وهو البحر الذي جمع قارات العالم القديم وقامت على سواحله أعرق الحضارات، كما شكلت موانئه مراكز للتبادل التجاري في العالم القديم. وكانت المدن الإيطالية هي همزة الوصل بين الغرب اللاتيني والبلدان المطلة على سواحلها الشرقية والغربية، حينها كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة في جميع ميادين الحياة وشكلت الأندلس والمغرب وصقلية ومصر والشام

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 12.

² يحيى جلال، المرجع السابق، ص. 269.

³ نفسه

⁴ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 12-13.

مراكز إشعاع حضاري، وكلها تحيط بشبه الجزيرة الإيطالية وبإمكان الكل الوصول إلى هذه المناطق، وخاصة طلاب العلم والمعرفة من الغرب، بالإضافة إلى أنها شكلت حلقة بين الشرق والغرب في التجارة العالمية. كما شكلت موانئها مناطق عبور للحملات الصليبية، وكذلك قربها من القسطنطينية عاصمة العالم القديم التي تتميز بثقافتها الشرقية والغربية، وكان يحضر إلى إيطاليا الأساتذة من القسطنطينية لتقديم المحاضرات، كما يقصدها المهاجرون، وعلى العكس فقد كان الطلبة يذهبون باتجاه القسطنطينية، وبهذا أصبحت إيطاليا نقطة التقاء وتقارب بين الثقافات¹.

5- طبيعة الفرد الإيطالي:

لقد تميز الشعب الإيطالي بميوله للحياة الفنية، كالموسيقى والرقص والأغاني والتصوير والنحت ونظم الشعر وغيرها من مختلف الآداب والفنون. أما ما يخص الحياة العسكرية والمعارك فقد عهد بها إلى المرتزقة من الألمان والسويسريين، كما أن رخاء الحياة الاقتصادية وما تمتع به الإيطاليون في مدنهم جعلهم يفجرون طاقاتهم الكامنة، فأبدعوا في مختلف المجالات وهذا بتشجيع من أمرائهم².

6- إيطاليا مقر البابوية:

كانت إيطاليا وعاصمتها روما مقرا للبابوية، وهي قبلة لمختلف شرائح مجتمع الغرب اللاتيني، مما أدى بالإيطاليين الاعتزاز بذلك، وأن الكنيسة والبابوية قد ساد نفوذها الروحي على مجتمع العصور الوسطى، ولكن وخوضها في الحياة السياسية والدينية وصراعها مع الإمبراطورية أدى إلى زعزعتها وتراجعها، ومما زاد ضعفها الفساد الذي انتشر داخل أجهزتها. كما أن بعض البابوات المستنيرين أصبحوا ينفقون على نشر العلم وإنشاء المكتبات وجمع المخطوطات والكتب وبناء الأكاديميات، وأصبحوا ينافسون الأمراء في الاهتمام بالعلم ورعاية أهله، فاشتهروا ب: بابوات النهضة أمثال نيقولا الخامس (1445-1458)

¹ يحيى جلال، المرجع السابق، ص.ص. 266-267.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 14-15.

1447م) الذي وضع أساس مكتبة الفاتيكان، بالإضافة إلى ليو العاشر Leo X (1513-1521م)¹.

7- إنشاء الأكاديميات والمكتبات:

لقد أسهم إنشاء المجامع العلمية (الأكاديميات) في نشر الدراسات الكلاسيكية (الإغريقية واللاتينية)، وقد كانت بمثابة حلقات ثابتة للبحث والتدريس، بحيث يقدم الأساتذة محاضراتهم وعقب ذلك تكون المناقشة العلمية الموضوعية بين الأساتذة طلبتهم، وقد عنيت هذه المجامع بالفلسفة الإغريقية والموسيقى والرسم. وقد كانت للأسر الحاكمة دور في ذلك مثل ما قام به كوزيمو دي مديتشي Cosmo de Medici من إنشاء أكاديمية أفلاطون وتعهدها حفيده لورينزو دي مديتشي Lorenzo de Medici من بعده، وفي روما تأسست سنة 1460م أكاديمية على يد جوليوس لاتيوس Julius Laoetus التي تهتم بدراسة التاريخ والآثار، بالإضافة إلى تأسيس أكاديمية في نابولي على يد ألفونسو الخامس Alfonso V (ت. 1416م) متخصصة في دراسة الآداب، وفي البندقية تأسست أكاديمية أخرى تهتم بالدراسات الإغريقية والتي أسسها ألدو مانوزيو Aldo Manusio. وقد كان للطباعة التي دخلت إيطاليا سنة 1460م دور كبير في نشر النهضة الفكرية بإيطاليا².

¹ يحيى جلال، المرجع السابق، ص.ص. 269-270.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 13-14.

المحاضرة 7: مظاهر وخصائص النهضة الأوروبية الحديثة

اتخذت النهضة أشكالاً ومظاهر مختلفة، تنوعت بتنوع طبيعة البلدان التي ظهرت فيها، فمثلاً إيطاليا ظهرت فيها فنياً وأدبياً، بينما في ألمانيا كانت بالإصلاح الديني. فقد كانت بداية حركة النهضة بحركة إحياء التراث الكلاسيكي، والتي أُصطلح عليها بحركة إحياء العلوم Revival of Learning¹. لقد لعبت المدن دوراً كبيراً في نمو وتطور حركة النهضة، ولهذا كانت مظاهرها الأدبية والفنية والعلمية قد ترعرعت في أحضان الرأسماليين، لأن الحياة الاقتصادية والاجتماعية بنيت على أساس الرأسمالية التي تمخضت عن الوظائف الاقتصادية والتجارية والصناعية، ولهذا فأول مظاهر النهضة كان في أحضان المدن الإيطالية الغنية خاصة فلورنسا والبندقية وجنوا وميلان وغيرها من المدن التي كان لها بسطة في التجارة، ومنها انتقلت إلى باقي ربوع الغرب الأوربي عندما أصبحت الظروف ملائمة لذلك².

ويقول نور الدين حاطوم عن النهضة: " النهضة صنيعة نمو البورجوازية والرأسمالية والملكية المطلقة، ظهرت بادئ ذي بدء في العصر الوسيط في المدن التي تشكل بناؤها الاقتصادي والاجتماعي على أساس رأسمالي، ونمت ظواهرها الأدبية والفنية والعلمية في أوساط الممولين الذين أثروا بالتجارة والصناعة والمصارف، وفي ظل الملوك المستبدين الذين استطاعوا فرض مجتمع جديد. وهو في عز توسعه الاقتصادي، وجلبوا المال بالضرائب والقروض وأقاموا الحاشية، وحول كبار الموظفين المدنيين والكنسيين"³. وفي نهاية حديثه يخلص إلى أن النهضة: " هي ثمرة البلاطات والأكاديميات والحلقات و الصالونات"⁴. ويقول

¹ عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، 1997، ص.27.

² عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.29.

³ نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، 1968، دمشق، سوريا، ص.78.

⁴ المرجع نفسه

يحيى جلال: "ونتيجة للتحرر الاقتصادي، وبداية التحرر الاجتماعي ستكون الحرية بكل صورها من خصائص ومظاهر النهضة الأوروبية¹.

1- إحياء الدراسات الكلاسيكية:

تميز عصر النهضة الأوروبية بروح البحث والشك والنقد والاهتمام الكبير بالتراث القديم اليوناني واللاتيني خاصة، إذ أن رواد الحركة الإنسانية كان لهم شغف كبير بإحياء الدراسات القديمة². ويقول أحد كبار مؤرخي عصر النهضة عن الإنسانيين: "the Humanists were the midwives of the new culture, the culture of Renaissance"، أي "أن الإنسانيين هم رواد الثقافة الجديدة، ثقافة عصر النهضة"³.

والحركة الإنسانية بمفهومها العلمي كانت من أولى مظاهر عصر النهضة الأوروبية، فهي تعنى بدراسة حياة الإنسان في مجالات الحياة الأدبية والفنية والعلمية، ويظهر ذلك في كل ما تناوله أدباء وفلاسفة وفنّيو العصر الكلاسيكي اليوناني والروماني، وأُطلق على الجماعة التي اهتمت بالتراث القديم اسم الإنسانيين أو المتأدبين. وقد ضمت هذه الجماعة المثقفين من مختلف الأصناف، علماء كنسيين، أساتذة الجامعات، مؤلفون وأطباء، وانبعثت وازدهرت هذه الحركة بعد أن لاقت التشجيع من حكام المدن خاصة الإيطالية، وغيرهم من أصحاب الثروة والمهتمين بالتراث الكلاسيكي⁴.

فقد استهوى هذا الأخير قلوب الكثير من الأوروبيين، معتقدين بأنه أحسن ما أنتجته عقول البشر، ولا يمكن لأي فرد أن تكون له مكانة عليّة ما لم يكن حظه من هذه الدراسات⁵. لقد كان الإنسانيون هم رسل العالم القديم، محاولين إحياء تراثه، فقد كان لهم بمثابة وسيلة يريدون من ورائها حياة أخرى غير حياة العصور الوسطى، حياة يشعرون بها ويتذوقونها⁶.

¹ يحيى جلال، المرجع السابق، ص. 263.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 18.

³ نقلا عن: عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص. 18.

⁴ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 29.

⁵ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 18-19.

⁶ نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة، ص. 79.

2- جمع المخطوطات القديمة ودراساتها:

قامت الحركة الإنسانية بدراسة المخطوطات المحفوظة في الكاتدرائيات والكنائس والأديرة، منها ما هو في شبه الجزيرة الإيطالية ومختلف ربوع الغرب اللاتيني وخاصة المخطوطات اللاتينية، أما المخطوطات الإغريقية فقط كانت في القسطنطينية بصفة خاصة¹. كما كانت كثير من المخطوطات عند الأفراد أو عند البيوت العلمية، وقد اهتمت البابوية والبلاطات الأميرية في المدن الإيطالية وغيرها بجمع المخطوطات وأنفقت أموالاً طائلة من أجلها، منها رسائل شيشرون الخطيب الروماني وحوليات تاكيتوس مؤرخ الغزو الجرمني. ومن أشهر جامعي المخطوطات من مختلف أنحاء أوروبا الفلورنسي فسبزيانو دابستيكا².

3- ظهور اللغات الحديثة:

كانت اللغة اللاتينية هي اللغة السائدة في الغرب اللاتيني، والتي يقتصر استعمالها على رجال الدين وبعض الأدباء، وبدأت تدريجياً تظهر اللغات الحديثة لمختلف شعوب أوروبا، ومنها الإيطالية، حيث أخذ شاعرها المميز دانتي يكتب بالإيطالية، اللغة القومية للإيطاليين، ويعد ذلك حدثاً له أهميته في تاريخ اللاتين، إذ بعمله هذا جعل حداً لللاتينية وميلاد لغة قومية لشعبه، ويظهر ذلك في كتابه الشهير بالكوميديا الإلهية، كما كتب أدباء بلغات قومهم مثل رابليه باللغة الفرنسية وسرفنتس بالإسبانية وشوسر بالإنجليزية³.

4- الاهتمام بالآثار وعلم التاريخ:

حظيت الآثار بالاهتمام الكبير في عصر النهضة الأوروبية، إذ أصبح الناس يشعرون بقيمتها الفنية، كما بدأ أفراد المجتمع يبحثون عنها في كل ربوع أوروبا، حيث ظهر عدد من المؤلفات التي تناولت تاريخ الآثار الرومانية وتخطيط روما القديمة وعادات وتقاليد الرومان القدماء، بالإضافة إلى اهتمامهم بعلم التاريخ، وبذلك تطورت مناهج البحث التاريخي وظهرت مدرسة النقد التاريخي، لتكشف النقاب عن كثير من الحقائق التي غُيّبت، ومن أمثلة ذلك هبة

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص. 19.

² عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 30.

³ المرجع نفسه، ص. 31.

قسطنطين التي روجها البابوات وإعطاء أولوية للسلطة الدينية. وقد كشف تزويرها لورنزو فاللا Lorenzo Valla (1406-1457م). وبذلك أصبحت دراسة التاريخ تخضع للمناهج العلمية لمعرفة الحقائق¹.

وللإشارة فإن هبة قسطنطين هذه تتكون من عنصرين هما الهبة ووثيقة الهبة، أولاً وهو ما يتعلق بالهبة، وقد كانت الفكرة أن قسطنطين (272-337م) وهو الذي اعتنق المسيحية أول إمبراطور روماني يدين بالمسيحية، قيل أنه وهب للبابا سلفستر Silvestre الأراضي الغربية من الإمبراطورية، بما أن هذا البابا ساعد على شفاء قسطنطين من الجذام بالدعاء كما ساعده في اعتناق المسيحية. وبذلك قدم له الإمبراطور هبته، أي أنه إمبراطور غني ومتفوق عسكرياً يهب الأراضي لزعيم ديني. يُعتقد أن الوثيقة كُتبت في القرن الثامن الميلادي، أي بعد حوالي خمسة قرون وبضمير المتكلم ويزعمون أنها بلسان قسطنطين. وثانياً ما يتعلق بلغة الوثيقة بالرغم من أن من اعتاد اللغة اللاتينية القديمة قد ينفر منها، إلا أنها في الحقيقة ساحرة للغاية تحديداً لأنها بوضوح ليست كلاسيكية.

فبينما يروي قسطنطين قصة اعتناقه المسيحية والحدث الجلل الذي أدى إلى ذلك. فكان نصيحة الكهنة الوثنيين لقسطنطين بالاستحمام بدماء الأطفال لشفائه من الجذام فرفض ذلك. وفي تلك الليلة زاره في منامه الرسولان بطرس وبولس وحثاه على لقاء البابا سلفستر، الذي سيريك كيف تعالج نفسك من الجذام. وعندما تُشفى من جذامك كافئ مخلصك على هذا التغيير حسبما تراه مناسباً. وسينتقل قسطنطين إلى "الأراضي الشرقية"، إلى بيزنطة، حيث سيعيش في مدينة سيبينها وبسميها باسمه، "لأنه حيثما أقام الحاكم السماوي أمير الكهنة ورئيس الدين المسيحي، فليس من حق الحاكم الأرضي أن تكون له السلطة هناك". وستظل هذه المراسيم سارية المفعول حتى نهاية العالم.

يكفي التأمل ليجعل المرء يعتقد أنها كُتبت لاحقاً. هناك أيضاً إشارات أخرى، مثل كلمات وردت في الوثيقة لم تكن موجودة في عهد قسطنطين أو استُخدمت بشكل مختلف آنذاك¹.

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 21-22.

وقد كان نيقولا ميكافيلي (1469-1527م) من أشهر مدرسة التاريخ الفلورنسي، لقد كان لميكافيلي اهتمام بالدراسات السياسية والتاريخية، فقد قرأ لأرسطو والخطيب الروماني شيشرون، كما قرأ الإلياذة لفرجيل وبالتالي فهو ذو فكر وثقافة رومانية أكثر من انتمائه للمدرسة اليونانية. وفي نظريته التي تقول بأن الغاية تبررها الوساطة، فالغاية عنده هي توحيد إيطاليا والوساطة هي الطرق التي تؤدي إلى الغاية².

ويقول نور الدين حاطوم: "وللوصول إلى هذه الغاية المرسومة، يرى ميكافيلي أن المرحلة الأولى، وهي تأسيس الدولة الإيطالية، لا يمكن قطعها إلا بأمر، وأن الملك في نظره يؤمن المرور من الماضي إلى المستقبل"³.

5-الفنون الجميلة:

لقد كان للإيطاليين دور كبير وفعال في مجال الفنون الجميلة، كما أعطوا للإنسانية ثمرات لها قيمتها في عالم الفن والجمال، وذلك نتيجة ازدهارها في إيطاليا على أيدي رجال إيطاليين، ومنها إلى بقية ربوع أوربا والعالم، فتنحصر الفنان في فكره وشعوره أدى إلى تحرر الفن من الأشكال التقليدية.

وقد ظهر ذلك التحرر في الفن والنحت والرسم، كما ظهر في فن العمارة، بمعنى أن الفن تحرر من تقاليد العصور الوسطى ليجد نفسه يستوحي من العصور القديمة الرومانية واليونانية مع بقاء الروح المسيحية. ولم يبق ذو طابع تقليدي، ليس هذا فحسب بل فيه إبداع وابتكار، وتأثر بروح العلم ودراسة جسم الإنسان وما تعلق به. وكذلك دراسة الهندسة وفن العمارة⁴.

ويعد ليوناردو دافينشي (1452-1519م) ومايكل أنجلو (1475-1564م) ورفائيل (1483-1520م) من أعظم الفنانين الإيطاليين في عصر النهضة، فقد كان تحررهم بمثانة النور

¹ انظر: Christopher, s. Celenza, op.cit., PP.26-29

² عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.33.

³ نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة، ص.136.

⁴ يحيى جلال، المرجع السابق، ص.379.

الذي بزغ على المجتمع الأوربي في تلك الفترة، فقد كان إنتاجهم في فن النحت والتصوير ينبض بروح الحياة، حيث برز فيها جمال الوجه البشري وسائر أعضاء جسم الإنسان، كما صوروا جمال الطبيعة ومناظرها الأخاذة. ولإشارة فإن دافينشي الفلورنسي على سبيل المثال كان رساما ونحاتا وعالما مخترعا، بالإضافة إلى أنه كان مهندسا وموسيقيًا، كما كان عالما كيميائيا ومؤلفا لكتاب من أقدم كتب التشريح¹.

6- التمتع بملذات الحياة:

يعد التمتع بالحياة وملذاتها من مظاهر النهضة، إذ أنها من التغيرات التي أحدثتها تلك الفترة في المجتمع الأوربي، وبصفة خاصة في إيطاليا، إذ برز دور المرأة في عصر النهضة وأصبحت ظاهرة للعيان وتقديس الجمال والتمتع بمغريات الحياة وشهواتها، واستهان الناس بالآداب العامة وخرجوا عن المألوف والأخلاق، وبذلك لم يتقيد الأفراد بالروابط الزوجية، علما أنهم لم يتخلوا عن حياة الأسرة، ولكنهم أرادوا العيش بحرية تامة. وقد كانت تقع مآسي وفواجع نتيجة هذا الانحلال كالقتل والانتقام العنيف².

7- ظهور شخصية الفرد الأوربي:

لم يكن للفرد ظهور في العصور الوسطى، إلا من خلال الطائفة التي ينتمي إليها أو النقابة التي يعد فيها عضوا حماية لمصالحه، علما أن هذه النقابة كانت تفرض على الأفراد واجبات تثقل كاهلهم، يعني يخضع لناظم صارم ولا يمكنهم التحرك إلا بأمر منها. كما كان للكنيسة قيودا على الفرد، حيث جمدت فكره وحطمت قدراته وإمكاناته. وببزوغ عصر النهضة تحرر الفرد من القيود الكنسية والاستبداد الإقطاعي. وبميلاد الرأسمالية جعل الفرد يندمج في المجتمع وحياته الجديدة ممارسا نشاطاته الصناعية والتجارية وغيرها دون قيود³.

8- انحلال النظام الإقطاعي وزواله:

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 22-23.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص.ص. 24-25.

³ عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 37.

مثلما كانت هناك عوامل ساعدت على ظهور النظام الإقطاعي، وتوسعه في أنحاء الغرب اللاتيني، كانت هناك عوامل أخرى أدت إلى تدهوره وانحلاله وزواله. فمنذ القرن الثاني عشر الميلادي وازدهار التجارة في الغرب الأوربي واستعمال النقود، ومع ازدياد حاجة الأسياد إلى العملة لشراء مختلف حاجاتهم التجارية والصناعية، ومع انتقال السلطة إلى الملوك وعدم حاجتهم للجيش الإقطاعية مقابل دفع الضرائب نقداً، بدأ الأسياد يبيعون الألقان وتوظيف عمال آخرين مقابل الأجور. هذا بالإضافة إلى انتعاش المدن وظهور الأسواق التجارية، أدى بالألقان إلى مغادرة الضياع هرباً من ظلم أسيادهم والبحث عن حياة أفضل في ظل الحرية. وهكذا أخذ الاقتصاد النقدي يحل محل الاقتصاد العيني تدريجياً. وهذا بدوره عجل بتراجع وانهيار الأسس التي قامت عليها الضيعة الإقطاعية، التي تعد من أهم أركان النظام الإقطاعي الذي شكل ركيزة أساسية لمجتمع الغرب اللاتيني¹. كما أن الملكية استفادت من اختراع البارود الذي كان نتاج عصر النهضة، وبذلك فشل نظام الفروسية الذي يعد دعامة رئيسية لأمراء الإقطاع في مواجهته لهذا التطور الحربي، الذي كان من نتائجه سرعة تدهور النظام الإقطاعي وانهيار الفروسية وزوال طبقة الرقيق، وازدياد نمو الروح القومية واستعمال اللغات القومية على أوسع نطاق، وقيام ملكيات قوية ذات حكومة مركزية موحدة²، لأن تأسيس حكومة مركزية يرأسها الملك أكثر استتباً لأمن المملكة واستقرارها وأحسن من التقسيم الإقطاعي³. وهذا يدل على أن النظام الإقطاعي بدأ يتدهور وينحل شيئاً فشيئاً إلى أن زال من الوجود.

¹ محمد مخزوم، المرجع السابق، ص. 32.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 28-29.

³ عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص. 16.

المحاضرة 8: نتائج النهضة الأوربية

إن توق الأفراد إلى التحرر في أواخر العصور الوسطى، وخروجهم عن قيود الكنيسة ورجال الإقطاع وممارستهم لأنشطة جديدة في مختلف مجالات الحياة، قد مكن المجتمع من تبوأ مكانته في المرحلة الانتقالية التي تمثل عصر النهضة ليشق طريقه تدريجيا نحو الأفضل. ومن بين نتائج النهضة الحديثة:

1- ظهور النظريات السياسية:

بعد الحراك الفكري والثقافي الذي شهده المجتمع في عصر النهضة، وخوضه في مختلف المسائل السياسية والدينية وغيرها، أصبح بإمكان المفكرين والعلماء إيجاد حلول تعالج بها مختلف المعضلات التي يعيشها المجتمع آنذاك. ويعد نيقولا ميكافيللي Nicola Machiavelli أول من وضع أساس الفلسفة السياسية، التي كان لها أثر عميق في تاريخ المجتمع الغربي، حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فكتابه الذي كتبه تحت عنوان الأمير، هو كتاب يتحدث عن أصول الحكم وفن إدارة حكم الدولة، كما شرح فيه الأماني القومية، ومنها تحرير بلاده من الاحتلال الأجنبي. وقد أراد أن تكون وحدة سياسية تجمع شتات إيطاليا الممزق، مع إنشاء جيش وطني يحمي ويدافع عن البلاد. وقد استقى مادته العلمية حتى من التاريخ القديم وأخذ الآراء السياسية التي تؤيد أفكاره في ذلك، وعلى الأمير أن يأخذ بالآراء ويوحد إيطاليا وتأخذ استقلالها¹.

وبالرغم من أن الأمير الذي يقصده ميكافيللي هو أمير إيطالي، ولكن في الحقيقة أنه يحمل ميزات عصر النهضة. ويجب أن يكون أمير مستبد طاغية يأخذ بيد بلده نحو الأفضل. كما في نظريته السياسية هذه، أن الغاية تبرر الوسيلة القذرة، لأن الغاية المنشودة تبيح له

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.40.

استعمال كل السائل¹. وبذلك كان كتاب الأمير لميكافيللي مرجعا لكل ملك يريد إحكام سيطرته على البلاد التي يريد أن يحكمها. ومن أمثلة ذلك لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وفي بروسيا في عهد فردريك الأكبر، وغيرهم من ملوك أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين².

2- ظهور الدول الحديثة:

ظهر العديد من الدول الأوروبية الحديثة في تكوينها، مثل إسبانيا والبرتغال وهولندا وأنجلترا وفرنسا وروسيا، كما ظهرت هناك دول أخرى تدريجيا مثل الدنمارك والسويد وإيطاليا وألمانيا، وقد بدأت هذه الدول تفكر بجدية في نشر مذهبها وتوسيع حدودها ليس في القارة الأوروبية فحسب، بل خارجها وإلى أماكن بعيدة، مكونة إمبراطوريات استعمارية في مرحلة لاحقة³.

3- حركة الكشف الجغرافية:

لقد ظل المجتمع الأوربي حبيس محيطه الجغرافي طيلة قرون، ولكن مع مطلع القرن الحادي عشر وتأجج نار الحروب الصليبية أصبح المجتمع يتوق لما وراء البحار، عله يحقق غايته الاقتصادية والدينية، ولكن بنهاية الحروب الصليبية عاد المجتمع إلى ما هو عليه، غير أنه لا يزال يفكر في توسيع نفوذه ومد سلطانه على أماكن تعد مصدر ثروته. وببزوغ عصر النهضة وتحرر الفرد الأوربي، بدأ يشق طريقه نحو الأفضل.

وفي ظل الصراع الإسباني البرتغالي ضد الحكم الإسلامي خاصة في الأندلس، كان دافعه التخلص من السيادة الإسلامية، وفتح سبل جديدة للوصول إلى عوالم أخرى تعود عليهم بالفائدة والتحكم في مقدرات الأمم والشعوب. وفي منتصف القرن الخامس عشر شق الأوربيون المغامرون الطريق نحو أماكن بعيدة في سواحل إفريقيا وفي شمال وجنوب أمريكا، ليس هذا فحسب، بل الوصل إلى الهند وكثير من الجزر في المحيطات. وبذلك كان بداية

¹ نفسه، ص.ص. 40-41.

² عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص. 37.

³ عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.ص. 53-54.

حركة استعمارية وطلنت نفسها في أماكن بعيدة استعبدت العباد واستفادت من الخيرات¹. فتمكن الغرب الأوربي من الوصول إلى أمريكا سنة 1492م، كما تم الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح سنة 1498م².

وقد كان نشر المسيحية عاملا أساسيا في دفع حركة الكشف الجغرافية وخاصة بالنسبة للأسبان والبرتغاليين، لأن في هذين البلدين روح التعصب الديني³. وقد كانت حركة الكشف الجغرافية أهم نتيجة عملية للنهضة الأوربية، كما أن الدافع الاقتصادي كان في مقدمة المطالب لأن الأوربيين كانوا يريدون التخلص من الرسوم الجمركية، التي كانت تفرضها عليهم سلطنة المماليك في مصر والشام عند عبور التجار من الشرق إلى الغرب⁴.

4- الصراع المذهبي في أوربا:

إن حركة الإصلاح الديني التي شهدتها أوربا خلال عصر النهضة وضرورة إصلاح مفاسد الكنيسة، كانت نتائجها وخيمة على المجتمع الأوربي، إذ أن المجتمع بمذاهبه الجديدة قد أدى به إلى الدخول في صراع مذهبي بين مختلف المذاهب المسيحية، بل أن الدول الأوربية التي دانت بمذهب معين جعلت صوب عينها أعداءها من المذاهب الأخرى. حيث وقعت حروب دموية حامية الوطيس، وبذلك كانت اعنف ضربة تلقتها الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي، حيث خرج على طاعة الكنيسة الغربية أكثر من نصف سكان أوربا الغربية⁵.

5- تطور البحث العلمي:

لقد كان للحضارة العربية الإسلامية فضل كبير على المجتمع الأوربي، إذ أن الطلاب الأوربيين كانوا يقصدون مختلف الحواضر الإسلامية للنهل من رحيق علومها. وبذلك كانت

¹ عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص.ص. 41-42.

² عبد الفتاح أبوعلية، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 53.

³ المرجع نفسه، ص. 54.

⁴ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 67-68.

⁵ شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص. 43.

بمثابة ميلاد التفكير العلمي الحر الذي سيحدث أثرا بالغا في المجتمع، وخاصة جانبه العلمي. وفي الحقيقة كانت تلك الاتصالات استفادة طيبة وكانت بمثابة بذور عُرس في أرض خصبة ونمت وترعرعت منذ القرن السادس عشر لتبلغ ذروتها في القرن السابع عشر الميلادي. فقد كان جل علماء النهضة يهتمون بتحقيق النظريات العلمية ووصف الظواهر الطبيعية وصفا قائما على الملاحظة، والعلوم الرياضية. ففي علم الفلك ظهرت نظرية كوبرنيك الذي أثبت أن للأرض حركة دائرية مثل باقي الكواكب، وهي تدور حول الشمس¹. ففي القرن السادس عشر الميلادي شهد نهضة في علم الطبيعة (الفيزياء)، والرياضيات والطب والعلوم الطبيعية والتجريبية، وعلم التشريح. كما أصبحت في هذا العصر التجارب العلمية شرطا لترسيخ أساسات العلم الحقيقي ووضع النظريات².

¹ عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص.35.

² نفسه.

المحاضرة 9: الحركة الإنسانية

الحركة الإنسانية :

تعد الحركة الفكرية من أهم سمات عصر النهضة، وهذا عكس ما كان في العصور الوسطى من هيمنة كنسية على الفكر الإنساني. والحركة الإنسانية (الدراسات الإنسانية) هي التي تُعنى بدراسة التراث الكلاسيكي الأوربي، وخاصة الدراسات الإغريقية واللاتينية¹. ففي القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين دُحِرت الكنيسة أمام توسع الأفكار العلمية في مختلف مجالات الحياة السياسية والفكرية والفنية والاقتصادية. ولقد قامت الحركة الإنسانية بإحياء الثقافة القديمة الإغريقية والرومانية، كما بدأ الأدباء والفلاسفة والمفكرون بمهاجمة الأفكار الدينية الرجعية التي تولدت عن العلاقات الإقطاعية، كما أخذت الطباعة تنشر الأفكار الجديدة التي تولدت عن العلاقات البورجوازية، نتيجة للحراك الثقافي الذي عاشه المجتمع في المدن خاصة الإيطالية. والاهتمام بالدراسات الإنسانية بمثابة استعادة الثقافة الكلاسيكية الرومانية واليونانية، وإعادة تقييمها².

1- في إيطاليا:

لقد كان فرانسيسكو بترارك Petrarch Francesco³، ذو اهتمام بقراءة الكلاسيكيات، وإحياء تلك الثقافة، تركزت أعماله الأدبية بشكل متزايد على إعادة اكتشاف وتطبيق

¹ شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المرجع السابق، ص.15.

² نعيم فرح، المرجع السابق، ص.10.

³ وُلِدَ بترارك (فرانشيسكو بتراركا Francesco Petrarca) (1304-1374م) في أريتسو Arezzo لأبوين هما بييترو دي بارينزو Pietro di Parenzo وإيليتا كانيجياني Eletta Canigiani. كان والده كاتب عدل هاجر إلى فلورنسا من مسقط رأسه إنسيزا Incisa على ضفاف نهر أرنو Arno. يعتبر بترارك أول رجل في العصر الحديث، كما يعد دانتي الجيري Dante Alighieri آخر رجل في العصور الوسطى. من المؤكد أن بترارك توقع بعض الخصائص التي تشكل جوهر فهمنا (الحديث) للتحول في المواقف من الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة: التركيز على الفرد وعلى الأمور الدنيوية، والبحث الدقيق في النفس البشرية وتقليد الأشكال الأدبية الكلاسيكية والأسلوب واللغة، وفهم فترات منفصلة في التاريخ، وشغفه بالسفر لرؤية العالم وتجربته. بينما تشير كل هذه السمات إلى رغبة بترارك في الهروب من الإطار الضيق لعالم العصور الوسطى الديني والأخلاقي. للمزيد من التفاصيل عن شخصية بترارك وأعماله. انظر: Key Figures, op.cit., PP.517-523

الدراسات الإنسانية. لقد كان من بين الإنسانين الأوائل الذي يقول بأن البشرية وبقوتها وعقلانيته قادرة على اختيار مصيرها ومكانتها في العالم. لقد كانت هذه الأفكار تتعارض مع وجهات النظر المزعومة للتعليم في العصور الوسطى، حول موضوع القدرة البشرية في حد ذاتها¹.

كما كان لدانتي ألجيري Dante Alighieri² الفضل الكبير في فتح الطريق أمام الإيطاليين لإحياء التراث الكلاسيكي أو ما يُعرف بـ: "الحركة الإنسانية، وبذلك تلقف فرانيسكو بترارك وجيوفاني بوكاتشيو Giovanni Boccaccio³ ما أشار إليه دانتي Dante Alighieri

¹ انظر: Encyclopedia of the Medieval World, 2005, U.S.A., P.356

² (1265-1321م)، ولد دانتي سنة 1265م بفلورنسا، لأب قيل أنه موثق عقود، من أسرة تنتمي لصغار النبلاء، تزوج دانتي من فتاة تدعى جيما دوناتي Gemma Donati وأنجب منها أربعة أبناء ولدين وبنيتين، وقيل أن جيما كانت خطيبة دانتي منذ الصغر على عادة وتقاليد البلد. ألتحق بنقابة الصيادلة والأطباء ولا يمكن لأحد أن ينخرط في نقابة ما إلا إذا كان صاحب مهنة في الصيدلة أو الطب، وربما أيضا كان يعمل في المجالس البلدية قبل نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، وكان له ذلك بسبب عضويته في النقابة. كان قريبه كورسو دوناتي Corso Donati زعيم لحزب السود الأرستقراطي، بينما صديقه جويدو كافالكاتي Guido Cavalcanti زعيم حزب البيض الشعبي، وبذلك أصبح دانتي بين متناقضين. تقلد دانتي وظيفة السفير ووظيفة المشرف على تخطيط فلورنسا، بالإضافة إلى عضو في لجنة الانتخابات. سنة 1302م تم نفيه من فلورنسا، وفي سنة 1303م لجأ إلى مدينة بولونا Bologna وتآمر مع حزب البيض لقلب نظام الحكم في فلورنسا. وعلى ما يبدو أن كتابه الكوميديا الإلهية قد ألفه في آخر حياته إلى جانب النظام الملكي (دي موناركيا)، حتى وإن كانت بعض الإشارات في نهاية ديوانه (الحياة الجديدة) توحى بأن الكوميديا الإلهية كانت في وقت باكر من حياته (1294م). تنبأ دانتي بظهور لغة قومه "سوف تبرز كالنور الجديد وكالشمس الجديدة التي تشرق عندما تغيب الشمس القديمة، وتسطع على من تكتفهم الظلمة والضباب لأن الشمس القديمة لم تعد تسطع عليهم بالضياء". وهكذا تقدم دانتي اعتزازا بلغة قومه وعصره، وبهذا بدت له اللاتينية الفصحى شكلية مصطنعة لا تعبر عن الواقع بعد أن ماتت جذورها. توفي دانتي سنة 1321م بمدينة فيرونا Virona ودفن بها. للمزيد عن شخصية دانتي وأفكاره وأعماله، انظر: لويس عوض، المرجع السابق، ص.ص. 27-39. وللمزيد أيضا يمكنك الإطلاع على: Key Figures, op.cit., PP.160-168.

³ يُعرف بوكاتشيو (1313-1375م) بتأليفه لمجموعة قصص الديكاميرون، لكنه في الحقيقة مؤلف للعديد من الأعمال المتنوعة، اشتهر كإنساني ومبشر بعصر النهضة. كان ابناً غير شرعي لرجل أعمال يُدعى بوكاتشينو دي شيلينو Boccaccio di Chelino، وأم غير معروفة الاسم، وقضى سنواته الأولى في فلورنسا أو ضواحيها شجع بوكاتشينو تعليم ابنه، ولكن ليس بما يتماشى مع اهتمامات ابنه الشخصية. وحوالي عام 1327م، عندما كان بوكاتشيو في الرابعة عشرة من عمره، انتقل إلى نابولي Naples، حيث كان والده يعمل وكيلاً لبنك باردي

بضرورة إحياء التراث الإغريقي واللاتيني¹. ومهما كانت الكتابات التي وضعها الإنسانون الإيطاليون وما تميزت به من عدم التعمق، فإنها بحق كانت ذات أهمية كبرى، إذ مهدت الطريق لمعرفة المعنى الحقيقي لجمال العالم القديم².

فمثلاً بترارك فرانسيسكو الذي كان أول إنساني ساهم في نشر هذه الحركة الجديدة على نطاق واسع في أوروبا، بفضل أسفاره وكثرة مراسلاته. كتب شعراً رائعاً باللهجة التوسكانية، وهو العمل الذي بُنيت عليه شهرته الأدبية اليوم وقد مثل جميع الإنسانيين، كتب الكثير باللغة اللاتينية: أعمال علمية، وحوارات وتأملات فلسفية، والعديد من الرسائل، كما مارس علم فقه اللغة، بمعناه الضيق والواسع. ويعود لبترارك الفضل في الحصول على الكم الهائل من نصوص المؤرخ الروماني القديم ليفي Livy (ت.17م).

في البلاط الملكي. وقر البلاط الفرنسي وميناء نابولي المزدهم لبوكاتشيو مجموعة واسعة من التجارب التعليمية الجديدة، تكمّل الساعات التي قضّاها في دراسات غير مرغوب فيها. ربما شجع تشينو دا بيسوتيا Cino da Pistoia، الذي علمه القانون، بوكاتشيو على الاهتمام بالشعر، إذ أطلعه على كتابات دانتي (1265-1321م) وغيره من الشعراء المعاصرين. كان بوكاتشيو أيضاً صديقاً لبعض أصدقاء بترارك Petrarch، بما في ذلك بارباتو Barbato وجيوفاني باريلي Giovanni Barilli والأب الأوغسطيني ديونيجي دي بورجو سان سيبولكرو Dionigi di Borgo San Sepolcro، ساهم باولو دا بيروجيا Paolo da Perugia، أمين مكتبة الملك، في تقديم تعليم أكثر كلاسيكية؛ وبمساعدة معرفة بارلام Barlaam باللغة اليونانية، كان باولو يجمع المواد المتعلقة بالأساطير القديمة التي أصبحت فيما بعد الأساس لكتاب نسب بوكاتشيو. بدأ بوكاتشيو بمحاولة الكتابة الأدبية بينما كان يواصل دراساته الأخرى... خلال الأزمة السياسية في فلورنسا عام 1360م، نُفي أو قُتل عدد من أصدقاء بوكاتشيو، كما انسحب هو نفسه من فلورنسا إلى سيرتالدو Certaldo حوالي عام 1365م. وفي رسالة تعزية (1361-1362) إلى صديقه المنفي بينو دي روسي Pino de Rossi، أعلن بوكاتشيو بداية عهد جديد: لقد مهد بترارك طريق القدماء، الذي طال أمده، وقد يحذو آخرون حذوه الآن. ويظهر هذا الشعور بالانفتاح الجديد أيضاً في مدح بوكاتشيو لجيوتو Giotto (1266-1337م) لإحياء فنّ اندثر منذ زمن طويل، كما شارك بوكاتشيو نفسه في تدشين هذا العصر الجديد، مُحيياً الأشكال والموضوعات والتواريخ الكلاسيكية. وعلى النقيض من تواضعه المعتاد، يتضمن كتابه "علم الأنساب" فخره الوحيد بأنه أحيى الدراسات اليونانية. للمزيد من التفاصيل عن شخصية باكتشيو وأعماله، انظر: Key Figures, op.cit., PP.79-84.

¹ إسحاق عبيد، عصر النهضة الأوربية، 2006، دار الفكر العربي، القاهرة، ص.12.

² هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، ط.3، دار المعارف، الإسكندرية، ص.35.

لقد غرل نُسخ المخطوطات المختلفة المتاحة آنذاك وقارنها، وأكمل المقاطع الناقصة عندما وجدها في مخطوطات أخرى، وأجرى عليها تعديلات، وجمع نصًا في جوهره أستخدم كأساس للنسخ المستقبلية¹.

كما يعد لورنزو فالّا Lorenzo Valla (1407-1457م) من أكبر الإنسانيين النهضويين، إذ أنه دافع عن حرية الاختيار كحق طبيعي للبشر، حيث قام بتطبيق المنهج الفيلولوجي التاريخي على الوثيقة المزورة المسماة هبة قسطنطين التي بموجبها أُعطي الحق للبابا سلفستر Sylvester (ت.335م) بامتلاك روما وإيطاليا ليس هذا فحسب، بل امتلاك السلطة الزمنية أيضا إلى جانب سلطته الدينية².

لقد تحرر الفنان الإيطالي في إنتاجه الفني -بعد أن كانت الفنون في خدمة الكنيسة والأمور الدينية- فقد نمت في الفن روح متحررة شغوفة بتذوق زينة الطبيعة والجمال البشري ومختلف أعضاء جسم الإنسان³.

ومن أبرزهم في فن الرسم والتصوير نجد رفائيل Rophael (1483-1530م) وتمثلت عبقريته في تصويره لأسرة المسيح عليه السلام والعشاء الرباني، كما نجد أيضا ليوناردو دافينشي (1452-1519م) وقد تمثلت عبقريته في رسمه لصورة الجوكندا La Jocanda، وهي صورة لسيدة إيطالية تدعى موناليزا Monaliza، تزوجت كرها من ضابط يكبرها بعشرين عاما يدعى جوكندا Jocande⁴.

وفي فن النحت نجد دونتللو Donatello (1386-1466م) الفنان الفلورنسي الأصل الذي يعتمد على الأنظمة الكلاسيكية في النحت وعلى جمال الطبيعة ونشاطها، التي كانت مصدر إلهام لفنه المحاكي للقديم، ويعد دونتللو من مؤسسي المدرسة الطبيعية في النحت،

¹ انظر: Christopher.S. Celenza, the Italian Renaissance and the origines of the humanities, an intellectuelle history 1400-1800, Combridge university Prenn, U.K., 2021, P.P.10-11

² مصطفى كيجل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، 2011، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص.57.

³ شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص.17.

⁴ المرجع نفسه، ص.18.

ومن أشهر تلاميذه مايكل أنجلو Michael Angelo (1475-1564م)، كما تطور فن التصوير ووصل درجة ممتازة في فلورنسا، ويعد جيوتو Giotto (ت.1337م) من مؤسسي المدرسة الفلورنسية في التصوير¹.

لقد كان للحركة الإنسانية دور كبير في إثراء الحقل الفكري والمعرفي، وذلك باكتشاف المخطوطات التي بواسطتها أُعيد بناء نصوص كلاسيكية حُرِّفت على مرور الزمن. ورُعي علم فقه اللغة بشكل خاص، كما كانت ترجمات النصوص المُعاد اكتشافها أساسية. لم تُعتبر هذه الأعمال الكلاسيكية نماذج بلاغية وأسلوبية فحسب، بل أيضًا أمثلة أخلاقية ومعنوية يُستند إليها في تشكيل مجتمع جديد بشكل عام. وتعليم المواطنين والرعية بشكل خاص. وللعلم كانت قد نشأت دوافع إنسانية مماثلة في أوائل العصور الوسطى، وخاصة خلال عصر النهضة الكارولنجية وعصر النهضة في القرن الثاني عشر الميلادي، وبُنيت عليها الإنسانية اللاحقة².

2- في فرنسا:

لقد كانت النهضة في فرنسا نهضة علمية، إذ نجد الملك الفرنسي فرانسوا الأول (1494-1540م)، يشجع على النهضة، وبذلك أقبل الكثير من العلماء الإيطاليين إلى فرنسا، ويرجع الفضل لهذا الملك في إنشائه لكلية فرنسا³، التي أُنشئت سنة 1530م، وكانت تدرس بها العبرية والإغريقية، وعند وفاة الملك توسعت وأصبحت بها عدة تخصصات، تمثلت في اللاتينية واليونانية والعبرية والفلسفة والرياضيات والطب والجغرافيا. ومن أشهر رواد النهضة الأدبية في فرنسا فرانسوا رابليه François Rabelais (1483-1553م)، وكان نقده لاذعا لجامعة باريس وعدم إدخالها للعلوم الإنسانية وتمسكها بالدراسات اللاهوتية، كما أنه درس

¹ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.35.

² انظر: Encyclopedia of the Medieval World, op.cit., P.356

³ شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص.ص.11.

الطب، وحاول تشريح جثة بشرية بالرغم من أن البابوية رفضت ذلك. وبهذا أصبح أستاذا للتشريح¹.

علما أننا نجد الإيطاليين مقلدين للقديم اليوناني والروماني، بينما الفرنسيين مزجوا بين القديم والحديث². كما نجد في فرنسا كذلك من الرواد جيوم بوديه Guillaume Bude (1467-1540م) الذي له شهرته في الدراسات الإغريقية، وكذلك دوليه Dolet (1509-1546م) المتخصص في القانون والدراسات القديمة، بالإضافة إلى بيير ليسكو Pierre Lesscot (1510-1578م) المتخصص في الحفر وتخطيط بناء اللوفر³.

3- في ألمانيا:

لم تكن الظروف ملائمة للدراسات الإنسانية في ألمانيا بالرغم من تشجيعها، لأن رجال الدين عارضوا هذه الفكرة، وربطوا هذه الدراسات بالنهضة في إيطاليا. والمجتمع الألماني بصفة عامة ورجال الدين خاصة يشعرون بمقت شديد تجاه الكنيسة ورجالها في روما، نتيجة لتدهور حالتها. وعليه فإن النهضة في ألمانيا كان اتجاهها علميا ودينيا ولم يكونوا مقلدين ولم يكتفوا بالدراسات الإنسانية، وقد ظهر توجههم العلمي في فكرة يوحنا مولر John Muller (1463-1556م) المتخصص في الفلك، كما ظهر يوحنا روكن John Reuchlin (1455-1522م) الذي تخصص في الدراسات الإغريقية واللاتينية والعبرية، هذه الأخيرة اعتبرها أساس لدراسة العهد القديم خدمة للديانة المسيحية. وعلى أية حال فإن الألمان أدركوا أهمية الدراسات الإنسانية في معرفة وشرح الإنجيل⁴.

4- في إنجلترا:

لقد كانت الظروف التي مرت بها إنجلترا من حرب المائة عام، بينها وبين فرنسا إلى حرب الوردتين داخل البيت الإنجليزي (1455-1485م)، وغيرها من الظروف سببا في تأخر

¹ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.21.

² شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص.ص.11-12.

³ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص.33-34.

⁴ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص.32-33.

النهضة في إنجلترا، بعد ذلك أخذت الدراسات الإنسانية تتسرب إليها، فقد كان هناك البعض من الإنجليز قد استفادوا من الدراسات الإنسانية في إيطاليا، وخاصة من فلورنسا وربما والبندقية.

وبعد عودة هؤلاء أخذوا يحاضرون في أكسفورد حتى أُطلق عليهم مصلحو أكسفورد، وقد ساعد زيارة إرازموس Erasmus (1467-1537م) لأكسفورد سنة 1499م وإقامته في كمبريدج (1510-1513م) على تقدم الدراسات الإنسانية فيها¹، وطالبوا بتحرير الفكر الإنساني من القيود الكنسية.

ومن الأعلام نجد توماس كوليت Thomas Colet، بعد عودته من إيطاليا أدخل اللغة اللاتينية إلى جامعة أكسفورد، ومن الذين نشروا الدراسات الإنسانية توماس مور Thomas Mur صاحب كتاب عالم الكمال (اليوتوبيا، أي المدينة الفاضلة) وقد كان لهؤلاء الثلاثة- مور وكوليت وإرازموس- تعاون على نشر الكتاب المقدس².

وقد استمر تشجيع حكام الإنجليز لهذه الدراسات، حتى عند وفاة الملك هنري الثامن (ت.1547م) أصبح بجامعة كمبريدج عدة كراسي، وهي اللاهوت والقانون المدني، الطبيعة واللغة العبرية واللغة اليونانية³.

وبالرغم من أن النهضة في إنجلترا كانت علمية وأدبية فإن هناك اتجاه آخر قد ظهر وهو الاتجاه الإصلاحية، فقد كان كوليت وإرازموس زعيما هذا الاتجاه، كما كان كوليت عميد كاتدرائية سان بول وقد أنشأ مدرسة سان بول التي هاجمت الكنيسة رغبة في الإصلاح، هذه المدرسة كانت نموذجا يُتَّبَع في الإصلاح.

وقد انفردت به النهضة في إنجلترا وتميزت به عن باقي الدول، أي لم تكن ذات اتجاه وثني في عمومها مثلما كان في إيطاليا وفرنسا⁴. إن ما قام به إرازموس في دراسته للفلسفة

¹ يحيى جلال، المرجع السابق، ص.313.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص.34-35.

³ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.22.

⁴ نفسه، ص.ص.22-23.

واللاهوت والتسوية بينهما واعتبارهما وسيلتين للمعرفة والبحث، وقال بالعودة إلى المنابع ودراسة النصوص الكلاسيكية وتأكيد على حرية الإنسان وأعاد بناء العقيدة المسيحية على أساس إنساني خالص، يعني المصالحة بين الفلسفة اليونانية والمسيحية دون الخلط بينهما. وبهذا كان من مؤسسي الاتجاه الإنساني المسيحي¹.

إن منحى النهضة في إنجلترا قد أخذ اتجاها علميا، حيث التوسع في البحث وإجراء التجربة وقد مثل ذلك كل من روجر بيكون Roger Bacon (ت.1292م) وفرنسيس بيكون Francis Bacon (ت.1626م) اللذان يعتبران من مؤسسي المدرسة العلمية في إنجلترا².

5- في شبه الجزيرة الأيبيرية:

انتقلت بذور الدراسات الإنسانية إلى شبه الجزيرة بواسطة من زاروا إيطاليا خلال القرن الخامس عشر الميلادي، هذه البلاد كانت مهياة للنهضة، غير أن الإمبراطورية والبابوية كانتا متخوفتين من قيام حركة الإصلاح الديني، إذ تحالف الإمبراطور شارل الخامس والبابا كليمنت السابع Clement VII (ت.1534م) في بولونيا سنة 1530م، وذلك بالقضاء على الحركة الإنسانية. وكان لمحاكم التفتيش كلمتها في التكيل بالإنسانيين³، إن التعصب للمذهب الكاثوليكي وعدم الرغبة في الإصلاح جعل الإمبراطور والبابا يقفان موقفا عدائيا من هذه الحركة⁴.

كما تعد أسبانيا مسؤولة عن تأخر الدراسات الإنسانية في هولندا وبلجيكا، نتيجة تبعيتهما للتاج الأسباني، ولم يدم ذلك طويلا إذ قامت الثورة في الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا) للمطالبة بالاستقلال⁵.

¹ مصطفى كحل، المرجع السابق، ص.ص. 56-57.

² عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.ص. 47-48.

³ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 36.

⁴ شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص. 12.

⁵ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 36.

وفي أثناء الصراع بين التاج الأسباني والهولنديين تم إنشاء جامعة ليدن Leyden تخليدا
لانتصار الهولنديين على الأسبان سنة 1574م، وأصبحت الجامعة مركزا للدراسات
الإنسانية، والاهتمام بالدراسات اللاتينية، وخاصة التاريخ والآثار¹.

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.36.

1-مولد وحياته:

ولد جون ويكلف حوالي سنة 1328م تلقى تعليمه الجامعي بأكسفورد، وقد أصبح جون أستاذا للفلسفة بكلية باليول Balliol بالجامعة نفسها سنة 1360م، كما أنه في بعض الأحيان يكون من بين القساوسة الذين يديرون أمور أبرشياتهم. وفي تلك الظروف التي تمر بها أوروبا أصبح مضطرا للقيام بالإصلاح، ففي تلك الفترة فتك الموت الأسود بالمجتمع اللاتيني، كما اندلعت الحرب بين إنجلترا وفرنسا سنة 1337م (حرب المائة عام)، بالإضافة إلى الصراع بين رجال الدين من جهة، والسلطة الزمنية من جهة أخرى، فأصبح كل طرف يرى مصالحه الشخصية دون مراعاة عامة المجتمع.

وقد عالج جون ويكلف تلك القضايا في محاضراته وكتبه، ولخص ويكلف أفكاره السياسية في عبارة العدل أساس الحكم، وكان يرى بأن الحكام غير العادلين لا يستطيعون مطالبة المجتمع بالطاعة، لأن هذه الأخيرة مشيئة إلهية، وقد حوكم جون ويكلف عدة مرات نتيجة لأفكاره².

لقد كان جون ويكلف من أكبر العلماء بإنجلترا وأحد وعاظها، وكان أول دافع لحركة ويكلف لمعارضة البابوية كان سياسيا عند ظهوره، إذ أن المجتمع الإنجليزي عارض ميول البابوية في أفينيون Avignon إلى الملكية في فرنسا، علما أن العداء كانت ناره مستعرة بين

¹ الإصلاح Reformation حركة ظهرت في أوروبا الغربية، خلال القرون الثلاثة الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية، وهدفها إصلاح ما انتشر من مفاصد في الكنيسة الكاثوليكية، وكان ذلك بداية مع جون ويكلف وجون هس وغيرهم، وصولا إلى مارتن لوثر الألماني، الذي اعتبر كثير من المفاصد لا تليق بالعقيدة المسيحية. ومنها صكوك الغفران وشراء رجال الدين للمناصب الدينية. وفي سنة 1517م أعلن مارتن لوثر عن مبادئه الخمسة والتسعون التي انتقد فيها الكنيسة الكاثوليكية، وبذلك كانت بداية انطلاق الإصلاح البروتستانتي. للمزيد من التفاصيل عن الإصلاح البروتستانتي، انظر: بندكت أندرسن، الجماعات المتخيلة، تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة: ثائر ديب، 2014، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ص.104، حاشية (*).

² الموسوعة العربية العالمية، ط.2، العبيكان للنشر، مج.27، (د.ب.ن)، ص.ص.248-249.

الإنجليز والفرنسيين، لاسيما حرب المائة عام، خصوصا وأن البابوية في أفينيون كانت قد أصدرت مراسيم أولها مرسوم برايمونير Praemunire، ومرسوم بروفيزورز Privisors، وحُرم بموجبهما حق تعيين البابوية لرجال الكنيسة الإنجليزية، كما لا يحق لهؤلاء اللجوء إلى البابوية للبت في مختلف القضايا والنزاعات المعهودة من قبل¹.

وبحلول سنة 1371م أصبح ويكلف كاتباً للبلاط ومؤيد للعائلة المالكة ضد الأساقفة وأتباعهم، وكان أمله الأكبر في الإصلاح يأتي من هذه العائلة، وأن إدعاء البابوات والأساقفة وتفضيلهم على عامة المجتمع لا أساس له من الصحة².

في سنة 1374م تم اختيار جون ويكلف ليكون مبعوثاً لحضور الاجتماع الذي يُعقد مع ممثلي حكومة فرنسا والبابوية للمفاوضة وعقد الصلح بين البلدين فرنسا وإنجلترا، وعند عودته إلى إنجلترا أصدر أول مؤلفاته. وبهذا العمل عدته الكنيسة هرطيقاً، حيث بين في مؤلفه فشل البابوية في الدفاع عن تابعها الإقطاعي الملك يوحنا John (1199-1216م) ضد أعدائه الفرنسيين، متهما إياها بمساعدتهم، كما أن البابا أنوسنت الثالث عندما تسلم إنجلترا من الملك يعد بذلك العمل شخص مرتش، وأن عمل الملك غير قانوني، لأنه بدون موافقة النبلاء. كما أن السبعمئة مارك التي تُدفع للبابوية سنوياً كانت بمثابة منحة، وكل ذلك صادف شعور المجتمع الإنجليزي بكراهيته للملكية الفرنسية والبابوية في أفينيون، وبهذا أصبح ويكلف بطلا قومياً للإنجليز³.

وفي سنة 1382م قام ويكلف بترجمة الإنجيل إلى اللغة الإنجليزية، وأكمل أتباعه نسخة محسنة من الترجمة سنة 1388م. شعرت الطبقة العليا بأن أفكار ويكلف تدعو الفقراء للمطالبة بحياة أفضل، فأضطهد أتباعه الذين أصبحوا يسمون باللولاردز Lollards⁴. الذين

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.124.

² الموسوعة العربية العالمية، ص.249.

³ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص.124-125.

⁴ الموسوعة العربية العالمية، ص.249.

عُرفوا باسم الكهنة الفقراء The Poor Priests، وهؤلاء تبنوا طريق الإصلاح في إنجلترا¹. إن ترجمة ويكلف للإنجيل إلى الإنجليزية أصبحت عامة المجتمع بمقدورها الإطلاع على الحقائق، وبإمكانها أن تحكم على آراء جون ويكلف وعلى مفاصد الطبقة الأرستقراطية، التي تقوم بها في الكنيسة².

ويقول ويلز بشأن ويكلف: "كان أوسع علما وأكثر اقتدارا من كل من القديسين فرنسيس ودومينيك، وقد كثر بين أفراد الطبقة المثقفة الراقية مؤيدوه، كما عظم عدد أتباعه بين أفراد الشعب"³.

2-رد فعل الكنيسة تجاه آراء ويكلف:

لقد كانت آراء ويكلف هرطقة⁴ بالنسبة للكنيسة في إنجلترا، وبذلك أمر رئيس أساقفة كانتربري Canterbury، بإيداع ويكلف السجن في انتظار دراسة قضيته أمام البلاط البابوي. في حين درست كلية اللاهوت بأكسفورد كتاباته وقالت بصحة آرائه. وعلى ما يبدو أن مهاجمة البابوية والكنيسة لويكلف قد دفعته للتطرف في آرائه، وقال بأن الأصل في الكنيسة هو عبارة عن هيئة من المؤمنين الأتقياء بصفة عامة، وليس رجال الكنيسة وحدهم، ليس هذا فحسب، بل قال لا البابا ولا القس يمتلك قرار الحرمان، وأن الإله وحده يمتلك سلطة الحرمان، وأن الغفران من الله وحده، ولا يمكن بأية حال من الأحوال أن يكون رجال الدين يمتلكون غفران الخطايا. كما أنه أنكر شرعية الاعتراف، وأن التوبة الحقيقية في قلب

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.126.

² عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.27.

³ ويلز، المرجع السابق، ص.235.

⁴ الهرطقة عند الكاثوليك، تعني الرأي الديني المناقض للإيمان الكاثوليكي، أوهي التشبث بخطأ إرادي يتعارض مع مبدأ إيماني موحى به، وتعلمه الكنيسة بصفته هذه، كما أن الروم الأرثوذكس يعتبرون اللاتين هرطقة. للمزيد عن هذا المصطلح، أنظر: ويلتر (ج)، الهرطقة في المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، بيروت، ص.17.

المؤمن المخطئ تكفي بأن يغفر له الله ذنوبه، وليس ضروريا أن يذهب المخطئ لرجل الدين والاعتراف له بالذنب¹.

وفي سنة 1382م تمت محاكمة ويكلف من طرف رئيس أساقفة كانتربري وأعلن عن بعض آرائه هرطقة، وفي آخر أيام حياته أبدى جون رغبته في الذهاب إلى روما استجابة لأمر البابوية لمحاكمته هناك، غير أنه لم يستطع فعل ذلك بسبب الشلل الذي أصابه، حيث توفي سنة 1384م. وبعد وفاته تعرضت مؤلفاته للمحاكمة وتم إحراقها في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي².

ويقول ويلز بشأن رد فعل الكنيسة تجاه ويكلف حتى بعد موته: "لم تطق ترك عظامه هادئة في قبرها، إذ صدر عن مجمع كونستانس سنة 1415م مرسوم يقضي بنبش عظامه وحرقها، وهو قرار نفذه الأسقف فلمنج Fleming (ت.1431م) في سنة 1428م بأمر من البابا مارتن الخامس Martin V (1417-1431م)، ويضيف ويلز قائلا: "وجدير بالذكر أن هذا التدنيس للحرمان لم يكن من متعصب مفرد، بل كان عملا رسميا صدر عن الكنيسة"³. وإن دل هذا فإنما يدل على هيمنة الكنيسة ورجالها على الحياة الدينية والسياسية، وضرب بيد من حديد على كل من يجرؤ على مخالفتها والطعن في قداستها.

3- أثر فكر جون ويكلف الإصلاح:

لقد كان لكتابات جون ويكلف أثر في عدد من المصلحين، ومنهم جون هس البوهيمي John Hus، حتى أن كثير من البروتستانتيين الإنجليز الأوائل قد أشاروا إلى أفكار ويكلف على أنها عودة إلى الإصلاح في تلك الفترة، وقد نشأت في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي حركة دينية تتكون من أتباع جون ويكلف، يدعون إلى الله والاعتماد على الكتاب المقدس كونه موجها للحياة النصرانية.

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. ص. 125-126.

² نفسه، ص. 126.

³ ويلز، المرجع السابق، ص. 235.

كما دعوا إلى البساطة في العبادة ورفض مظاهر الفخامة في تأدية الطقوس الدينية والأسرار المقدسة وسيادة البابا، كما أنهم أنكروا أن الخلاص لا يكون إلا بوجود كنيسة منتظمة. وقد كان معظم أفراد هذه الطائفة قسيسين أو أفرادا فقراء من غير رجال الكهنوت الكنسي، لباسهم عباات طويلة خشنة خمرية اللون يحملون عصي في أيديهم متسولون في عيشتهم. اضطهدهم الملك هنري الرابع (1399-1413م) عندما وصل إلى سدة الحكم سنة 1399م، وبالرغم من ذلك زاد أتباع هذه الحركة من عامة الشعب، ولكن بعد سنة 1420م تراجع تأييد هذه الجماعة، كان أثرهم ضعيفا في الحياة الدينية في إنجلترا، لكن تأثيرهم كان أكبر في بوهيميا، حيث أخذ جون هس البوهيمي بأفكار ويكلف وكان ثمنها حياته سنة 1415م، كما أن لوثر بعد ما يقارب المائة عام أخذ بأفكار جون هس. وبهذا يكون جون ويكلف وأتباعه قد مهدوا الطريق للإصلاح اللوثيري في أوروبا¹.

¹ الموسوعة العربية العالمية، ص. 249.

1-مولد وحياته:

ولد جون هس حوالي سنة 1369م، وكان أستاذا وواعظا في جامعة براغ، وقد كان مصدر أفكاره يتأتى من عالم اللاهوت جون ويكليف الإنجليزي، الذي كان أستاذا بجامعة أكسفورد، الذي طالب بإصلاح جذري لإنهاء الانشقاق الكبير¹.

وفي شهر جانفي من سنة 1409م وأثناء إعادة تنظيم مؤسسات الحكم الذاتي في جامعة براغ، فضّل هس المصالح الوطنية التشيكية ردّا على ذلك، كثّفت السلطات الكنسية وبعض سلطات الجامعة هجماتها على هس. ومنذ سنة 1412م، قام جون هس بمعارضة الملك وينسيسلاس الرابع Wenceslas IV (1363-1419م) بشأن بيع صكوك الغفران. خلال هذه الفترة أنتج هس أعماله الرئيسية، وعلى وجه الخصوص أطروحته "حول الكنيسة" في

¹ كان هناك إنشقاقين الأول كان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي (1054م) بين الكنيستين الشرقية والغربية، وسببه تركّز الجدل الرئيسي حول الاعتراف بسلطة البابا النهائية، وقد استمر طيلة العصور الوسطى، ولم يُعلّق إلا مؤقتا لدعم الجهود المشتركة ضد العثمانيين في القرن الخامس عشر الميلادي، ولم ترفع الإدانات الفعلية حتى سنة 1965م، بينما الانشقاق الثاني حدث داخل الكنيسة الغربية حول مسألة من هو البابا الشرعي، وقد استمر من سنة 1378م إلى غاية 1417م، حيث جرى انقسام بين الكرادلة نتج عنه اختيار اثنين من البابوات أحدهما في روما والآخر في أفينيون بفرنسا، وبذلك تفكك العالم المسيحي الغربي، وتراجع هيبة البابوية وأصبحت محل جدل ونقاش، وأخيرا كان للمجمع الكنسي كلمته في مدينة كونستانس (1414-1417م) وتقرر القضاء على مشكلة الانقسام وانتخاب رجل واحد وهو البابا مارتن الخامس Martin V، ومقره روما دون سواها وهي نفسها مقر البابوية. للمزيد انظر: عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، 1997، دار الفكر العربي، ص.84. انظر أيضا:

عام 1413م، والتي طالب فيها، متفقاً مع أستاذه من أكسفورد، بالإصلاح الجذري للكنيسة المنقسمة والمنشقة الحالية حتى مع تعاون القوى العلمانية¹.

لقد كانت هناك ردة فعل تشيكية نتيجة للتصرفات السيئة لرجال الكنيسة والتجار والسياسيين من الجرمان، الذين جاؤوا إلى البلاد مع حكم الأسرة اللكسمبورجية Luxembourg. لقد امتزجت أفكار هس مع الشعور القومي للشعب التشيكي، ولهذا كان ذو نجاح في هذه البلاد. ومن العوامل التي ساعدت على انتقال أفكار ويكلف إلى بوهيميا يعود إلى أن أنا أوف بوهيميا Anna of Bohemia، هذه أميرة من البيت البوهيمي، قد تزوجت من الملك ريتشارد Richard II الثاني الإنجليزي (1377-1399م)، وكانت قد أخذت معها بعض القساوسة البوهيميين، وبعد وفاتها عادت هذه الجماعة إلى الديار آخذة معها مؤلفات جون ويكلف الإنجليزي. وقد اهتم أساتذة براغ بهذه المؤلفات وكان من بينهم جون هس أستاذ الفلسفة في الجامعة، كان واعظاً محبوباً، وقد تركت هذه المؤلفات والآراء أثراً كبيراً في جون هس، حيث ترجم منها الكثير إلى اللسان التشيكي².

2- أفكار جون هس:

لقد نادى جون هس بأن لا واسطة بين الإنسان والله، إلا عن طريق الإيمان والعمل بما جاء في الإنجيل. وبهذا يكون مشتركا مع جون ويكلف في هذا المبدأ، بمعنى أن كلتا الحركتين

¹ انظر: Encyclopedia of the medieval world, PP.361-362.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 126-127.

تهدفان إلى تقليص سلطة رجال الدين، وإلغاء الدور الذي كان يقوم به القسيس كوسيط بين البشر والله¹.

كما أنه ندد باستعمال صكوك الغفران في غير محلها، إذ أنه في سنة 1412م أمرت البابوية ببيع صكوك الغفران لجمع الأموال وإنفاقها في حروبها ضد نابولي Naples، فما كان من هس إلا تنديده بالصكوك، التي تُستعمل في هذا الغرض، كما أقر بعدم شرعية الطقوس التي يقوم بها رجال الدين، بالإضافة إلى قوله أنه لا يجوز أن يكون للبابوات أية قوة دنيوية وأن لا يتدخلوا في السياسة ولا الحرب. وأن الكنيسة لا تتكون من رجال الدين فقط، بل من يختارهم الله لإنقاذ أرواح البشر من أحياء وأموات، هذا بالإضافة إلى أنه أدخل في الكنيسة قضية القضاء والقدر، وهذا المبدأ قد أدانتها الكنيسة واعتبرته هرطقة منذ زمن، وكان ذلك خلال القرن التاسع الميلادي².

3- رد الفعل تجاه جون هس:

وُجهت لجون هس تهمة الهرطقة، وبعقد مجلس كونستانس بين سنتي 1414م و1415م بمدينة كونستانس، حيث عالج هذا المجلس ثلاثة عناصر أساسية وهي: القضاء على الانقسام الديني، والإصلاح الكنسي، وحركات الهرطقة المنتشرة وقتذاك³. وافق هس في خريف عام 1414م على حضور مجمع كونستانس. وبعد وصوله بفترة وجيزة، أُدين

¹ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.27.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.127.

³ نفسه، ص.128.

بالهرطقة وتم إعدامه حرقاً في 6 جوان من سنة 1415م¹، كما أُحرقت كتبه². وقد أثار ذلك موجة احتجاجات عنيفة في بوهيميا، وانتشاراً سريعاً لأفكاره الإصلاحية³.

وظل المجتمع التشيكي ينظر إلى جون على أنه رائد قوميتهم والمصلح الديني، الذي أراد إصلاح مفاسد الكنيسة⁴.

4-تأثير فكر جون هس على المجتمع البوهيمي:

بدعم من طبقة النبلاء البوهيميين الحازمة والمتعاطفة، انتشر تعليم مصلحي الجامعة في الريف. ولم يؤدّ تنامي معارضة سلطات الجامعة لهذه الأفكار إلا إلى تعزيز نشاط هذه الحركة، لا سيما في جنوب بوهيميا، حيث تأسست جماعة التابوريين Taborites المؤثرة في ربيع عام 1420م. وقد أدى إعلان الحملة الصليبية الألمانية في معظمها ضدهم إلى توحيد الهسيين القوميين في "حرب مقدسة" للدفاع عن استقلالهم والأفكار التي أصبحت تُعرف بـ "مواد براغ الأربعة"⁵.

إن هذه الحركات التي كانت تتنادي بالإصلاح، وتقليص سلطة الكنيسة قد لقيت استجابة من السلطة الزمنية لزيادة نفوذها داخليا، وبالرغم من رد فعل البابوية العنيف تجاه هذه الحركات،

¹ انظر: Encyclopedia of the medieval world, P.362.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.128.

³ انظر: Encyclopedia of the medieval world, P.362.

⁴ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.28.

⁵ انظر: Encyclopedia of the medieval world, P.362.

إلا أن ذلك أدى إلى ظهور جماعات مؤيدة لأفكار هس وأستاذه ويكلف، ومن هنا تظهر طائفة الهسيين مثلما كانت طائفة الويكلفيين¹.

لقد شملت تلك المواد حرية الاعتراف والتعبير عن الكلمة الإلهية، وتمكين العلمانيين من تناول الخمر، وعلمنة نسبة كبيرة من ممتلكات الكنيسة، ومعاقة مرتكبي الخطايا المميتة. وبعد أربعة عشر عامًا من الحروب والحروب الصليبية والحملات العسكرية الهسية خارج بوهيميا وإلى البلدان المجاورة، شكلت هذه المواد الأربعة أساسًا لاتفاقية سلام أبرمها مندوبو الاتحادات الهسية مع الإمبراطور سيجيسموند Sigismund (1433-1437م) إمبراطور لوكسمبورغ وممثلين عن مجلس بازل Basel².

أدى هذا إلى التسامح الديني، وكان ذلك فريداً من نوعه في ذلك الوقت. ومن ناحية أخرى، ذهب جزء كبير من ممتلكات رجال الدين المصادرة والمعلمنة لإثراء جيوب النبلاء. واضطرت الملكية البوهيمية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي إلى التعامل مع طبقتين جديدتين، إحداها قائمة على طبقة النبلاء الكبرى والأخرى على طبقة النبلاء الصغرى. وفي الوقت نفسه، شكلت المدن الملكية طبقة ثالثة مستقلة. وبذلك أنهت تسوية دينية وسياسية في مارس 1485م فعلياً الفترة الهسية، و دشنت نظاماً ملكياً قائماً على نظام الطبقات³.

¹ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.28.

² انظر: Encyclopedia of the medieval world, P.362

³ انظر: Encyclopedia of the medieval world, P.362

لقد ازداد التشكيك في سمعة البابوية والطعن في مصداقيتها، وبذلك ظهرت حركات إحادية هرطقية مثل حركة السباطين التي ظهرت بعد الوباء الأسود الذي ضرب أوروبا خلال حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا، وبذلك يجب معاقبة النفس وتطهيرها من الذنب بضربها بالسباط، بالإضافة إلى حركة الألبيجسيان Albigenian التي قامت في ألبّي Albi بجنوب فرنسا، وكذلك حركة الولدانسيين Waldensians بالمنطقة نفسها، وبذلك كانت معول هدم في جسم الكنيسة والبابوية، وفتح المجال لفكر جديد هو فكر النهضة الأوروبية¹.

كما ظهر في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي مصلحون آخرون كان دورهم بارز في فضح مفاسد الكنيسة ومن أمثلة ذلك سافونا رولا الإيطالي (1452-1498م)، الذي تميز بمهاجمته للكنيسة ورجالها، كما ظهر هناك اتجاهان الأول يرى إصلاح الكنيسة من الداخل، أي يقوم رجال الدين أنفسهم بإصلاح المفاسد، وعلى رأس هؤلاء ديزيديريوس إرازموس Desiderius Erasmus (1467-1536م) رائد الحركة الإنسانية النصرانية، في حين أن الاتجاه الثاني يرى أن الإصلاح يُفرض على الكنيسة فرضاً، ويكون بواسطة رجال من خارج هيئتها، ويسمى ذلك بالإصلاح من الخارج، وقد كان من رواد هذا الاتجاه مارتن لوثر الألماني وزونجلي Zwingli في زيوريخ Zurich بسويسرا Switzerland وكلفن Calvin بفرنسا ثم في جنيف Geneve بسويسرا².

¹ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 28.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 128-129.

1- مولد وحياته:

ولد جيرولامو سافونا رولا Girolamo Savona Rola في مدينة فرارا Ferrara بإيطاليا في 21 من شهر سبتمبر 1452م، وقد ظهرت عليه علامات الذكاء منذ صغره¹. لقد كان والده ميشيل سافونا رولا Michael Savonna Rola طبيبا، وقد كان ابنه منذ صغره يعكف على قراءة الإنجيل ويؤدي صلاته، ألتحق بجامعة فرارا وعمره اثنتا عشرة سنة، ولكن بسبب ظروفه الصحية لم يتابع دراسته الجامعية، غير أنه استطاع أن يقرأ لكثير من فلاسفة اليونان. وقد كانت الحفلات الصاخبة في بلاط الأمراء وحتى أثناء استقبال البابا تثير اشمئزازه، فقد شبهه بقائد عسكري أكثر منه رجل دين².

ألتحق سافونا رولا بالحياة الديرية كراهب في دير سان دومنيك في بولونيا بإيطاليا، وأصبح واحدا من رهبان الدومنيكان³، حيث بين لأبيه السبب الذي جعله يعتصم بالدين: "الشقاء العظيم في الدنيا وظلم الناس للناس، والشهوانية وجرائم الزنا واللصوصية والكبرياء والوثنية... من كل ما لوث العصر، وجعل من المحال أن نجد فيه رجلا قادرا على فعل الخير". ولذا فأنا كثيرا ما أردد بيت من الشعر لقائله فرجيل: "اهرب من الدنيا...ومن أجل هذا لم أعد احتمل عدوان شعوب إيطاليا العمياء القلوب، ولاسيما حين أبصرت كل الفضائل تداس وكل الرذائل تعظم"⁴.

2- الدعوة والإرشاد:

في عام 1481م تم إرساله إلى فلورنسا للوعظ وتقديم الدروس هناك، حيث أعاب على المجتمع انغماسه في الحياة الدنيا وزخرفها، كما أنه هاجم لورينزو دي مديتشي (1449-

¹ حسن عثمان، سافونا رولا الراهب الثائر، دار المدى للثقافة والنشر، 2009، ص.22

² شوقي عبد الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص.25

³ لويس عوض، المرجع السابق، ص.132.

⁴ لويس عوض، المرجع السابق، ص.131.

1492م) حاكم فلورنسا وحملته مسؤوليته تجاه ما يحدث في المدينة من حياة البذخ والمجون، بل أنه اتهم رجال الدين وعلى رأسهم البابا اسكندر السادس (1431-1503م)، الذي عُرف عنه حبه للمال واستعمال الرشوة كوسيلة للوصول لعرش البابوية، بل بيع الوظائف الكنسية وانغماسه في حياة الترف والبذخ، واستعمال سلاح الغدر ضد خصومه ومعارضيه¹.

وفي أسلوبه وطريقة وعظه يبدو أنها لم تعجب الكثير من أهل فلورنسا، لأنه كان يتكلم بخشونة وذكره لآثام البشر وفساد رجال الدين فانصرف عنه الجمهور، ولم يبق يستمع له إلا القلة القليلة، وبذلك عاد أدراجه إلى دير سان دومنيك لتعليم الرهبان الجدد والتعليق على الإنجيل، وراح يردد على أسماع تلاميذه "إن مخازي العصر قد أفسدت الكنيسة، التي أصبحت في حالة تعجز فيها عن القيام بالإصلاح.

وإن أباطيل الحياة الزائفة كالفساحة والحفلات والفاخرة والزخارف هي التي تجذب الرجال... وقال إن الدين لم يكسب منها سوى قتل العقيدة الخالصة، وأن الكنيسة هي المسؤولة المجرمة لتأثيرها وخضوعها لمادية العصر"².

في تلك الأثناء كان في فلورنسا أساتذة وعاظا مثقفين تميزوا ببلاغتهم وأسروا الناس بكلامهم، أمثال الواعظ ماريانو Mariano وظهر سافونا رولا أمامه بمظهر الضعف، ولم يكد لسانه ينطق من الخجل وهو أمام جمهوره، لذا أنكب مرة أخرى لقراءة الكتاب المقدس (سفر الرؤيا) الذي ينذر الناس باقتراب علامات الساعة بسبب خطايا البشر وكثرة ذنوبهم.

وبهذا علا شأنه وخفت ضوء منافسه ماريانو ولم يكد يذكر، وأصبح سافونا رولا ملكا غير متوج. ويعد سافونا أول مؤسس للثيوقراطية (الحكومة الإلهية) في العالم الغربي المسيحي³. لقد كانت دعوة سافونا رولا في بادئ الأمر سلمية، حيث دعا الناس إلى التمسك بالمسيحية الأولى والتخلي بالفضائل والأخلاق الحسنة لإنقاذ البلاد مما أصابها من فساد أخلاقي وانحطاط في القيم، فكان سافونا واعظا ومرشدا ومؤلفا وخطيبا بليغا جمع حوله الجمهور،

¹ شوقي عبد الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، ص. المرجع نفسه، ص.ص. 25-26.

² حسن عثمان، المرجع السابق، ص.ص. 42-43.

³ لويس عوض، المرجع السابق، ص. 133.

ولكن لما رأى بأن الوعظ والإرشاد غير مُجديين لجأ إلى طريقة العنف، حيث جمع حوله الشباب وكون منهم جماعات عسكرية دينية لمراقبة الآداب العامة في شوارع فلورنسا ومحاصرة أماكن الفساد واللهو في المدينة، بل أنه كان يجمع المؤلفات المخالفة لتعاليم المسيحية ويحرقها¹.

لقد أصبحت سمعة الكنيسة في عصر سافونا رولا سيئة للغاية، حتى غدا الناس يقولون عن القسيس "إن سمعته الطيبة تتنافى مع انتسابه للكنيسة"، ليس هذا فحسب، بل أصبح رجال الدين اسم مرادف للتطفل والكسل، وكان عامة الناس يقلدون أصوات أجراس الكنائس والأديرة: "داندو، داندو، داندو أي هات هات"².

3- موقف البابا من سافونا رولا:

يبدو أن طريقة سافونا في الإصلاح والطعن الذي وجهه للكنيسة ورجالها، لم تعجب البابا اسكندر السادس، إذ نجده يدعو لترك ذلك وتغيير أسلوبه وعدم الطعن في رجال الدين والتقليل من دور الكنيسة، بل دعاه البابا لمناقشته في روما، ولكنه رفض طلبه خوفاً منه ومن مكائده والغدر به. واستمر سافونا رولا في وعظه وإرشاده ومهاجمة رجال الدين وذكر مساوئهم، بالسعي وراء الحياة الدنيا وترك واجبه الديني. وظل البابا يغريه بترقيته إلى رتبة كاردينال مقابل تخليه عن مهاجمة رجال الدين، فلما رأى أن ذلك لم يجد نفعا معه، اتهمه بالكفر وأصدر بحقه قرار الحرمان الكنسي³ ضده في شهر ماي من سنة 1497م⁴.

¹ شوقي عبد الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص. 26.

² لويس عوض، المرجع السابق، ص. 134.

³ شوقي عبد الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص. 26-27.

⁴ الحرمان الكنسي أو البابوي، عقوبة يفرضها البابا على مخالفه ومعارضه تعاليم الكنيسة، وهي نوعان، فالعقوبة الأولى ضد فرد معين بذاته Excommunication، أي يصبح الشخص منبوذاً من المجتمع لا يمكن التعامل معه، أما الحرمان الثاني فهو الاجتماعي (Interdict)، الذي يخص به مجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليم أو مملكة بكاملها. وفي هذه الحالة تغلق الكنائس كل أبوابها في ذلك المجتمع، ولا يقوم رجالها بتأدية أعمالهم. وبذلك لا يجد أفراد المجتمع من يقضي مصالحهم الدينية، كالتعميد والزواج وشعائر الجنائز، بالإضافة إلى قطع الروابط مع هذا المجتمع ببقية العالم المسيحي. للمزيد من التفاصيل، انظر: عاشور، أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج. 2، ص. 3-4.

4- إعدام سافونا رولا:

في شهر ماي من سنة 1498م تم إعدامه في فلورنسا¹، وأُحرقت جثته مع اثنين من أتباعه الذين أخلصوا له الإتياع والولاء². وعلى الرغم من إعدامه، إلا أنه كسر هيبة الكنيسة ورجالها لينفتح المجال أمام من يحاول مرة أخرى تجاوز عتبة الكنيسة ومحاولة الإصلاح.

¹ شوقي عبد الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص.27.

² لويس عوض، المرجع السابق، ص.133.

المحاضرة 13: حركة مارتن لوثر Martin Luther الإصلاحية

1- مولده وحياته:

ولد مارتن هانس لوثر في بلدة ايشلين Eisleben بسكسونيا بألمانيا في العاشر من شهر جانفي سنة 1483م من أبوين فقيرين، وعلى ما يبدو أن فقر الأسرة قد أثر في حياة لوثر فكانت صعبة للغاية، تعلم لوثر في مانسفيلد Mansfeld وفي ماجدبرغ Magdebourg أصول اللغة والترتيل الديني وأتم دراسته اللاتينية في أبشلين، وبعد أن أتم تعلم اللغة اللاتينية والأصول الدينية الكاثوليكية ألتحق بجامعة أرفورت Arfort سنة 1501م لدراسة الحقوق، تلبية لرغبة والده هانس الذي كان يحلم بأن يرى ولده رجل قانون، لأن ذلك التخصص كان من الموضوعات ذائعة الصيت وذات التأثير في الحياة الاجتماعية¹.

لكن مارتن توجه إلى حياة الرهبنة، حيث ألتحق بدير القديس أغسطين سنة 1505م². وبحلول سنة 1508م أستاذعي لوثر لتدريس الفلسفة في جامعة ويتبرغ Wittenburg، وهذا بعد أن درس المسائل الدينية واللاهوت³.

في سنة 1511م كان من بين الذين زاروا مدينة روما⁴، وهو بذلك ممثلاً لطائفة القديس أغسطين⁵. وأثناء زيارته لهذه المدينة هاله ما رآه من حياة البذخ والترف وانحطاط القيم وفساد المجتمع وابتعاد رجال الدين عن التعاليم المسيحية⁶. معلقاً على تلك المظاهر بقوله: "إن كل من يذهب إلى روما يشعر بأن عقيدته الدينية تترنح تحت الضربات التي تصيبه من جراء ما يرى هناك"⁷.

¹ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 87.

² يحيى جلال، المرجع السابق، ص. 441.

³ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 87.

⁴ يحيى جلال، المرجع السابق، ص. 441.

⁵ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 131.

⁶ يحيى جلال، المرجع السابق، ص. 441-442.

⁷ نقلاً عن عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 131-132.

وبعد عودته إلى بلدته شغل منصب كرسي اللاهوت بجامعة وتترغ سنة 1512م، فكان يقدم دروسه ويعظ الطلاب ويرشدهم¹. وبتفكيره هذا قال بأن الإنسان مليء بنوازع الشر، وليس بمقدوره أن يكون متصلاً بالله، إلا إذا كان قلبه عامر بالإيمان، وأن الله سبحانه يغفر الذنوب إذا تاب الإنسان المؤمن إليه، ولا خلاص للإنسان إلا بالإيمان برحمة الله، وأن الهدف من الصلاة وسائر العبادات ليس التخلص من الذنوب، ولكن إسداء الحمد والشكر لله، وقد عرفت هذه العقيدة، بعقيدة التبرير بالإيمان².

2- موقف مارتن لوثر من صكوك الغفران:

عندما حلّ الراهب حنا تetzl John بسكسونيا لبيع صكوك الغفران، رأى مارتن الفرصة مواتية لإعلان ما يجول في ذهنه ويخبئه صدره بضرورة الإصلاح، واستنكر قضية بيع صكوك الغفران، وبيّن أن النجاة والعقاب والقصاص لا تأتي ببيع هذه الصكوك، وإنما تتحقق بالإيمان بالله، وبذلك اغتتم لوثر فرصة تجمع الناس في كنيسة وتترغ في شهر نوفمبر 1517م، واحتج على مساوئ الكنيسة، وقدم ذلك في 95 حجة ضد صكوك الغفران³.

إن ما قام به مبعوث البابا إلى مقاطعتي ماينز Mainz وماجديبرج Magdeburg لجمع المال لبناء كنيسة القديس بطرس، وترغيب الناس في شراء صكوك الغفران، وأن ذلك من أسباب غفران الذنوب ودخول الجنة، وحسب ما ذكره فيشر: "إنه ليس من المعقول ما ذهب إليه هذا الراهب الجاهل الأحمق حين قال للناس إنهم إذا ما ساهموا عن طوعية، واشتروا الثواب وصكوك الغفران، فإن كل تلال سانت أنابورج ST. Annaburg ستتحول إلى كتلة هائلة من فضة صافية، وأنه ما إن سمع رنين العملة في الصندوق حتى تكون روح من دفعت الأموال من أجله في طريقها إلى الفردوس".

¹ يحيى جلال، المرجع السابق، ص. 442.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 132.

³ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 88-89.

هذه العبارات التي تعبر عن وقاحة وجهالة المبعوث الدومنيكاني حنا تنزل، جعلت لوثر يلصق بنوده الخمسة والتسعين على باب قلعة كنيسة وتنبرج في 31 من شهر أكتوبر سنة 1517م، وهي التي أشعلت فتيل الإصلاح الديني الألماني¹.

وأعلن أن الغفران من شأن من شؤون الله وحده، ولا يمكن لأي أحد مهما كانت رتبته الدينية أن يقوم بهذا العمل ودعا لمن يهيمه الأمر بمناظرته. وبذلك دخل مع حنا تنزل في جدال، حينها كان البابا مشغولا بقضية اختيار الإمبراطور الجديد، وبذلك أعلن لوثر أنه يمكن الاعتماد على الكتاب المقدس وحده في المسائل المختلفة وتحييد رجال الدين².

وباستطاعة كل شخص ذو ثقافة قراءة الإنجيل وتفسيره على حسب فهمه وإدراكه له، وليس للبابا الحق في احتكار الإنجيل، كما يجب إباحة الزواج للقساوسة وإخضاع رجال الدين للسلطة الدنيوية³.

ولقد ذاع صيت مارتن لوثر وألّف حوله الكثيرون الساخطون على الكنيسة وتصرفاتها في روما، وعلى البابا المدعي بأنه واسطة الغفران بين الله والعباد. وخلال سنتي 1519م و1920م كان لوثر قد عبأ الرأي العام بكتاباتهِ الدينية التي تضمنت تفسير العقيدة الجديدة، وبيّن أن ادعاءات رجال الدين بأنهم متميزون عن عامة الناس فإنه ادعاء كاذب، وعلى الناس أن يبحثوا عن الحقيقة بأنفسهم في الكتاب المقدس.

كما أن لوثر وجه إلى أمراء ألمانيا وفرسانها بأن يأخذوا بحركة الإصلاح على أساس أن السلطة الدينية خاضعة للسلطة الزمنية، وليس للبابا الحق في احتكار الإنجيل، كما يجب عليهم تأدية واجبهم لخدمة الإنسانية، وهو الإشراف على الدين في بلدهم، كما يجب التقليل

¹ فشر هيربرت، المرجع السابق، ص.100.

² عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.122.

³ عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى القرن الثامن عشر، 1997، دار الفكر العربي، القاهرة، ص.91.

من عدد الأديرة، وليس من الضروري الحج إلى روما وإباحة زواج رجال الدين، وانتقد نقدا لاذعا الكرادلة وما يتمتعون به من حياة الترف والبدخ¹.

وأتم لوثر خصومته مع روما برسائله الثلاث، الأولى، نداء بالألمانية موجه إلى العلمانيين يحثهم على إصلاح الكنيسة بأنفسهم بعنوان: إلى هيئة النبلاء المسيحيين من الأمة الألمانية بصدد إصلاح العالم المسيحي، والرسالة الثانية باللاتينية موجهة لرجال الدين بعنوان: مقدمة عن الأسر البابلي² الكنسي، وأما الرسالة الثالثة فهي: فيما يمس الحرية المسيحية موجهة إلى البابا ليو العاشر Leo X (ت.1521م) ظاهرها نداء للسلام. وفي خطابه للبابا بين مفساد رجال، وأن كل ما يحدث من فساد فهو تحت مسؤولية البابا وغطاء الكنيسة³.

لقد كان موقف الكنيسة عنيفا مما طرحه لوثر من أفكار، وبذلك أصدر البابا ليو العاشر قرار الحرمان ضده في شهر ديسمبر من سنة 1520م، ولكن مارتن لوثر لم يأبه لذلك فحسب، بل أحرق هذا القرار في ساحة وتبرج، ونشر رسالته عن الأسر البابلي للكنيسة معلنا عن مفسادها. وبذلك يكون لوثر قد انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، وأصبح زعيما لجماعة مؤيدة لأفكاره في سكسونيا وخارجها⁴.

3- موقف الإمبراطور شارل الخامس من مارتن لوثر:

¹ عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص.ص. 91-92.

² أخطر انشقاق واجهته الكنيسة الغربية، وهذا عندما تدخل ملك فرنسا فيليب الرابع باختيار البابا كلمنت الخامس (1309-1314م) واتخذ مدينة أفينيون الفرنسية مقرا له، واستمر بابوات أفينيون يرفضون الانتقال إلى روما حتى سنة 1377م، وأصبح الإنقسام ممكنا وذلك باستغلال ملوك فرنسا البابوات في حربهم ضد إنجلترا (حرب المائة عام)، وفي سنة 1378م اختار الكرادلة في روما بابا إيطاليا هو أوربان السادس وكان مقره روما، وقد كان هذا البابا متشددا وعزمه على محاربة الفساد، فما لبثوا أن اختار الفرنسيون بابا آخر هو كلمنت السابع (1378-1394م) ومقره في أفينيون، وأصبح بذلك وجود بابوين في الغرب ورمي كل طرف الآخر بالحرمان الكنسي. ولم تنته هذه المشكلة إلا في مجمع كونستانس (1413-1417م) حيث أعيدت للبابوية وحدتها باختيار البابا مارتن الخامس اعترفت به دول الغرب الأوربي. للمزيد انظر: محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوربي، عصر النهضة، 1983، دار الكتاب اللبناني، ص.109.

³ فشر هيربرت، المرجع السابق، ص.101.

⁴ عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.90.

بناء على ما كان يريده الإمبراطور من استمرار العلاقات الودية مع البابا ليو العاشر أن ينفذ قرار الحرمان ضد لوثر، بصفته مواطناً تحت سلطانه، حينها كان الإمبراطور شارل الخامس Charles V (ت.1558م) إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة منهمكا في حروبه ضد الملك الفرنسي فرانسوا الأول François I (ت.1547م)، وذلك ضمن ما يسمى بالحروب الإيطالية 1494-1559م، التي انتهت بمعاهدة كمبريسيس Cambresis، كما أن رجال الدين في إسبانيا لم يكن بوسعهم تحمل إمبراطور يحتضن هراطقة.

لهذا أضطر هذا الأخير أن يعرض قضية لوثر على مجلس الدايت الذي عُقد في ورمز Worms سنة 1521م، بحضور لوثر مؤمناً له الطريق من وتبرغ إلى ورمز، علماً أن نوايا الإمبراطور لم تكن سليمة، وهذا تماشياً مع رغبة البابا وأعضاء المجلس¹.

وفي هذا المجلس أصر لوثر على عدم التنازل عن أفكاره، ولذلك اعتبره المجلس خارجاً عن القانون وحرمانه من الحقوق المدنية وإهدار دمه، غير أن فردريك Frederick (ت.1525م) أمير سكسونيا وأمراء شمال ألمانيا وضعوه تحت حمايتهم، وهناك لجأ لوثر إلى القلعة تحت حماية فردريك²، وهي قلعة ورتبرغ Wartbourg الحصينة³.

وخلال وجوده في هذه القلعة عمل لوثر على ترجمة الإنجيل إلى اللغة الألمانية، حتى يستطيع الناس قراءته وفهمه⁴، فتذوقوه ديناً ولغة وأدباً وكان لهذه الترجمة أثر عميق في إحياء الأدب الألماني، وأصبح لوثر من رواد النهضة باللغة الألمانية، وخلال مكوثه في القلعة كان قد اتصل به الفيلسوف الألماني فيليب ملانكتون Philip Melancton المتخصص في الدراسات الإغريقية، فتوطدت العلاقة بينهما حتى أصبح صديقان، فكان بذلك ملانكتون نعم السند في وضع فلسفة للإصلاح اللوثرية⁵.

¹ محمد مخزوم، المرجع السابق، ص.120.

² عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص.92.

³ محمد مخزوم، المرجع السابق، ص.120.

⁴ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص.123.

⁵ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.139.

حاول الإمبراطور شارل الخامس مرة أخرى إيجاد حل للمسألة الدينية، إذ أنه وجه دعوة لعقد المجلس الإمبراطوري-الدايت- في مدينة سبير Speire في بافاريا Bavaria في شهر جوان من سنة 1526م للنظر في قضية تنفيذ القرار الذي تم إصداره في ورمز بشأن مارتن لوثر.

وقد عالج المجتمعون قراراتين أولهما وجوب عقد مجلس أو جمعية وطنية في القريب العاجل لإيجاد حل للشور المتعددة التي لا تتحمل التأخير، وكان هذا بمثابة غض الطرف عن المشكلة الدينية فيما يخص اللوثرية، وأما القرار الثاني فقد كان لكل أمير الحق في أن يعيش أو يسلك في موضوع قرار ورمز المسلك الذي يُسأل عنه أمام الله وأمام الإمبراطور، بمعنى حرية اختيار المذهب الديني الذي سيختاره الأمراء في أماراتهم.

وبذلك أصبح للوثرية مركز معترف به، فكان ذلك سببا في صدور هذا القرار، والسبب الثاني في صدوره هو أن الإمبراطور كان يريد مهادة اللوثرين، حتى تبقى الجبهة الداخلية في ألمانيا موحدة، في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يدقون أبواب المجر، وفعلا تحقق لهم النصر في معركة موهاكس Mohacs في 28 أوت من سنة 1526م¹.

وبعد تفاقم مسألة الخلافات الدينية أعلن الإمبراطور عقد مجلس ثان في مدينة سبير في شهر مارس من سنة 1529م، وكان شارل الخامس يريد الحد من نفوذ البابا كليمنت السابع Clement IV (ت.1534م)، الذي كان قد أصدر قرار حلف كونيكاك في 22 من شهر ماي سنة 1526م، الذي ينص على إخراج الإمبراطور من إيطاليا، كما أنه لا يريد إزعاج اللوثرين بسبب ظروف الإمبراطورية آنذاك وصراعها مع العثمانيين، كما أوصى مجلس سبير الثاني بإلغاء قرار سبير الأول، والعمل على تنفيذ قرار ورمز سنة 1521م.

كما أنه لا يمكن استعمال القوة والعنف ضد الأفراد وحرية اختيارهم للمذهب الذي يريدونه، بالمقابل ليس من حق الأمراء اختيار المذهب الديني الذي يريدونه، مع استعمال القداك الكاثوليكي في المقاطعات التي تدين باللوثرية، في حين لم يشر لإقامة اللوثرين قداكهم في

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص.ص. 145-146.

المقاطعات الكاثوليكية. وهنا يلاحظ مدى تخبط السلطة، وعدم كفاءتها في معالجة هذه المسائل.

وبذلك اتضح الأمر للوثريين بعدم إيجاد السلطة حلاً لقضيتهم واعتبروا قرارات سبير الثاني لا قيمة لها، ومن هنا أمضى خمسة أمراء وأربعة عشر حاكماً من حكام المدن الألمانية على عريضة الاحتجاج. وقد أطلق على هؤلاء اسم المحتجين أو البروتستانت¹.

لقد كانت قرارات سبير الثاني ضربة موجعة للوثريين وأطاحت بمركزهم القانوني الذي نالوه في سبير الأول، لذا قرروا تحدي سلطة الإمبراطورية وقالوا إننا نحتج We Protest ، وبذلك أصبحوا يعرفون بالمحتجين Protestants².

4- وفاته:

في 18 من شهر فبراير من سنة 1546م توفي مارتن هانس لوثر³، بعد أن تمكن من نشر أفكاره وعقيدته، تاركاً مذهباً اعتنقه الكثير من أبناء المجتمع الأوربي، وخاصة الشعب الألماني، وبذلك ستشهد أوروبا صراعاً مذهبياً وتنافساً بين دولها من تكون لها سلطة ونفوذاً على الأقاليم الأوربية وخارجها.

¹ عبد الفتاح أبو عليّة، إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.ص. 96-97.

² عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 146.

³ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، لمرجع السابق، ص. 130.

الخاتمة:

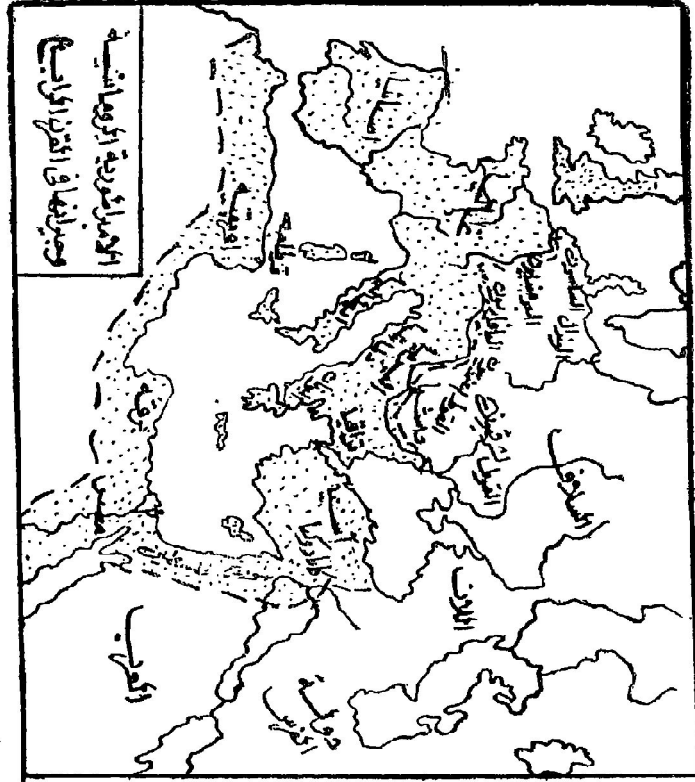
إن حياة مجتمع الغرب الأوربي في عصر النهضة، وما تميزت بها تلك الفترة، تعد مرحلة انتقالية من عصر ساد فيه سيطرة الكنيسة والإقطاع وانغلاق الحياة على الفرد الأوربي. ولا يمكن أن يرى إلا ما يراه أسياده من رجال الدين أو العلمانيين الإقطاعيين، وعصر جديد تطلع فيه المجتمع إلى حياة أفضل أدت به إلى شق طريق آمن نحو عصر حديث يتبوأ فيه الفرد مكانة تليق به، كونه محور الحياة على وجه البسيطة.

إن الحركة الدؤوبة التي عاشها مجتمع الغرب اللاتيني، منذ أواخر العصور الوسطى قد أدت به في النهاية إلى صناعة جسر الوصول إلى العصر الحديث، وبذلك يكون المجتمع الأوربي قد فتح لنفسه نافذة على عالم أوسع نظر للحياة بشكل مختلف مستغلا كل الظروف والعوامل ليجعل من نفسه رائدا للمرحلة اللاحقة، وفعلا كان له ما أراد.

الملاحق

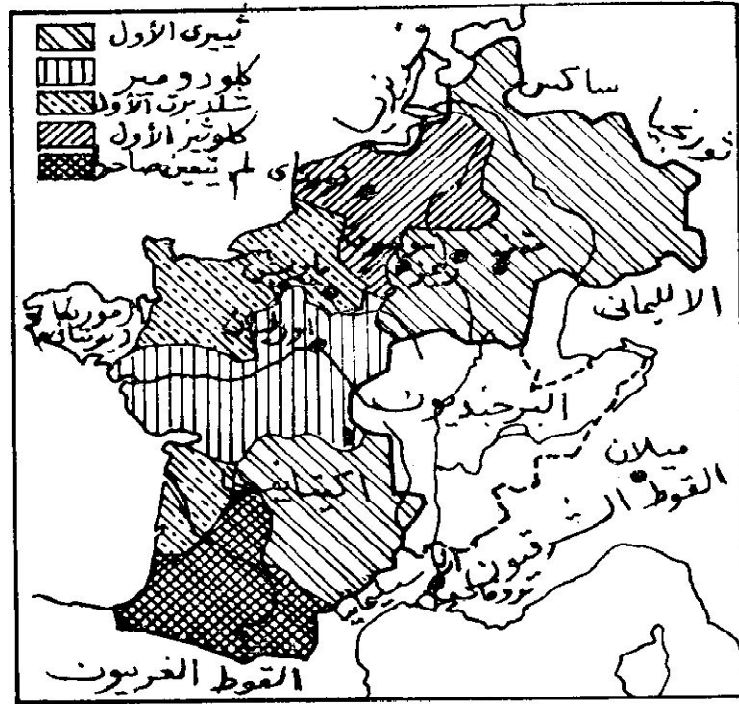
الملحق 1: الإمبراطورية الرومانية وجيرانها في القرن الرابع الميلادي

— ٥٦ —



انظر: عاشور عبد الفتاح، أوروبا في العصور الوسطى، ص. 56.

الملحق 3: مملكة الفرنجة زمن الأسرة الميروفنجية

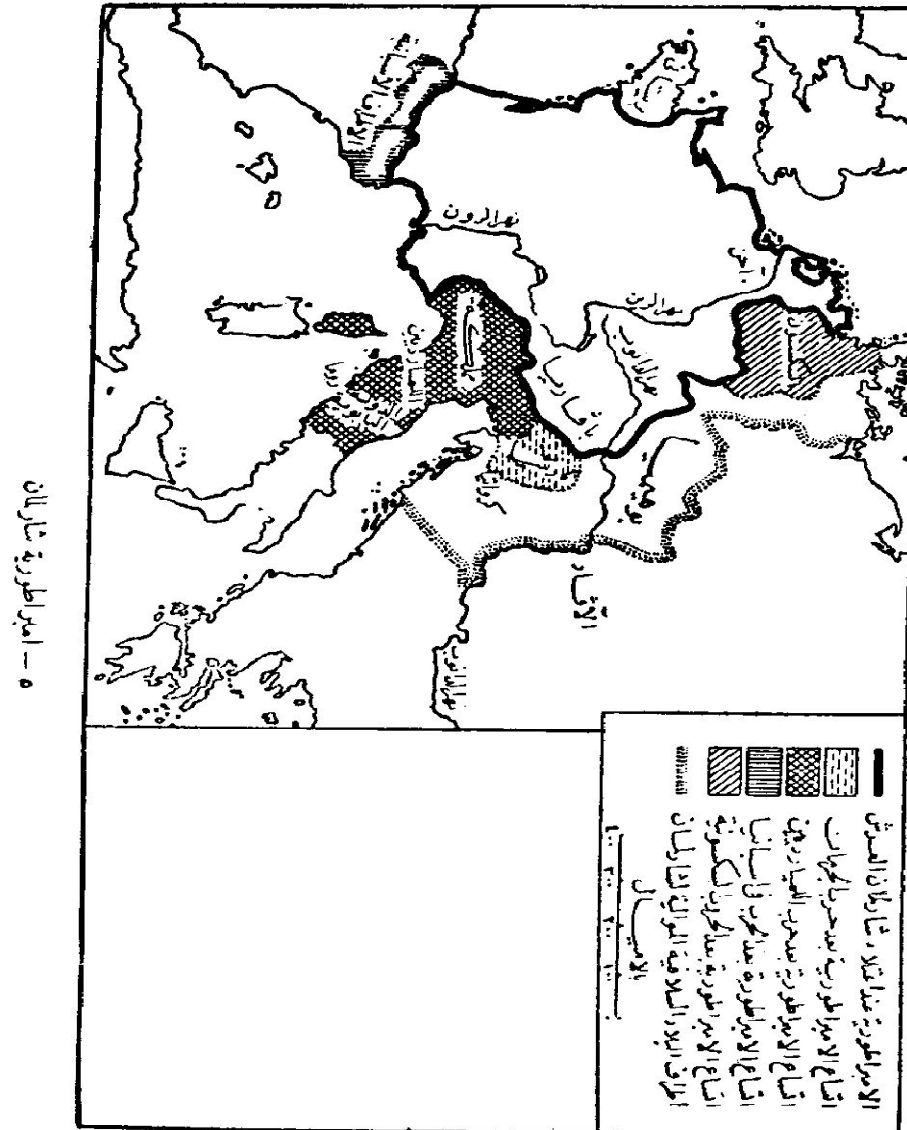


غاليا سنة ٥١١

٣ - مملكة الفرنجة زمن الميروفنجيين

انظر: السيد الباز العربي، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى.

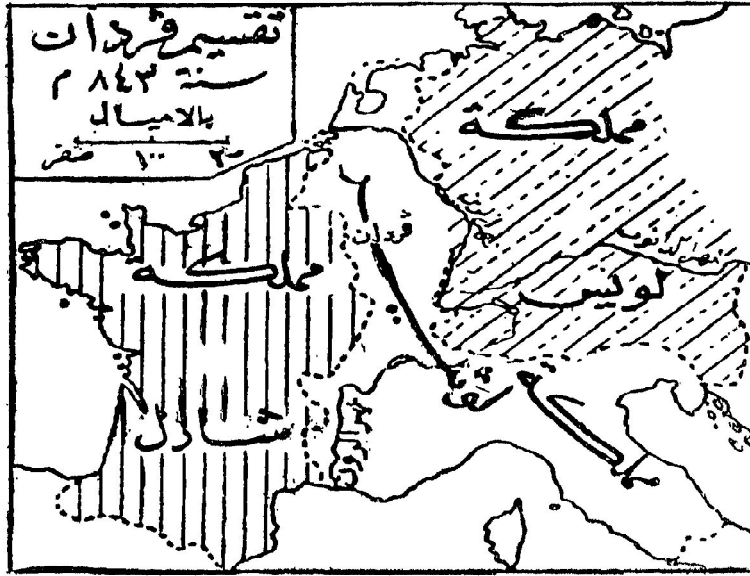
الملحق 4: إمبراطورية شارلمان



انظر: السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا

الملحق 5: تقسيم المملكة الكارولنجية في معاهدة فردان سنة 843م

- ١٧١ -



انظر: سعيد عشور عبد الفتاح، تاريخ أوروبا، ص.171.

قائمة المصادر والمراجع

I-المصادر:

- 1- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج.2، 2002، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- 2- أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تدقيق وتعليق: عبد الكريم الأشتر، ط.2، المكتب الإسلامي، 1424/2003، بيروت، دمشق، عمان،
- 3- اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة: عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، 1989، دمشق.

II-المراجع العربية والمعربة:

- 1-أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، دون تاريخ طبعة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 2- أندرسن بندكت، الجماعات المتخيلة، تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة: ثائر ديب، 2014، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر.
- 3- باركر ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد علي عيسى، في تراث الإسلام، ج.1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936،
- 4- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، 1984، الإسكندرية.
- 5- ----- نشأة الجامعات في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1981، بيروت.
- 6- جلال يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، 1981، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية.
- 7- حاطوم نور الدين، تاريخ عصر النهضة الأوربية، دار الفكر، 1968، دمشق، سوريا.
- 8- حلاق حسان، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الأندلس، صقلية والشام، ط.2، دار النهضة العربية، 2012، بيروت، لبنان.
- 9- ديورانت ول وايرل، قصة الحضارة، عصر الإيمان، مج.4، ج.3، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، جامعة الدول العربية، تونس.
- 10- الحويري محمود، اللومبارديون في التاريخ والحضارة (568-774)، 1986، دار المعارف، القاهرة.

- 11- الزهراني علي بن محمد سعيد، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 212-484هـ/826-1091م، 1996، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- 12- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربة"، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط.8، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، 1993، بيروت.
- 13- عبد الفتاح أبو علي، إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط.3، دار المريخ للنشر، 1993، الرياض.
- 14- عاشور سعيد عبد الفتاح تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، 1976، بيروت، لبنان.
- 15- -----، أوروبا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج.2، مكتبة النهضة المصرية، 1959، القاهرة.
- 16- عباس إحسان، العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب، 1975، دار الثقافة.
- 17- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، 1997، القاهرة.
- 18- عبيد إسحاق، عصر النهضة الأوربية، 2006، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 19- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، 1999، دار الفكر العربي.
- 20- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث، من ظهور البورجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة، ج.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 21- عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: احمد توفيق الطيبي، 1980، (د.د.ن)، (د.ب.ن).
- 22- عمران محمود سعيد، معالم أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986.
- 23- ---- حضارة أوروبا في العصور الوسطى، 1998، دار المعرفة الجامعية.
- 24- السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط).
- 25- ستيفنسن كارل، الإقطاع في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف.
- 26- الشعراوي أحمد إبراهيم، الإقطاع وأوروبا في العصور الوسطى، المطبعة العالمية، 1970، القاهرة.
- 27- الصقلي خالد، الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية خلال فترة الحكم النورماني (462-592هـ/1070-1194م)، دار الأمان، 2012، الرباط.
- 28- سقيو إيمان محمود، حركة الترجمة من اللغات الشرقية إلى اللغة اللاتينية وأثرها على الحضارة الأوربية في القرنين 12 و13م، دار الآفاق العربية، 2013، القاهرة.

- 29-سيد محمد صالح أشرف، قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا في العصور الوسطى، 2008، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، لبنان.
- 30-شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق، إبراهيم تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، ج.1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2000، القاهرة.
- 31- كوبلاند (ج.و)، فينوجرادوف(ب)، الإقطاع والعصور الوسطى، ت. محمد مصطفى زيادة، ط.3، 1985، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 32- كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، 2011، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- 33- محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي 755-976م/138-366هـ، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1981م/1401هـ.
- 34- مخزوم محمد، مدخل لدراسة التاريخ الأوربي، عصر النهضة، 1983، دار الكتاب اللبناني.
- 35-- نورمان كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ج.1، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط.5، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، القاهرة .
- 36- نعيم فرح، الحضارة الأوربية، ط.2، منشورات جامعة دمشق، 1999-2000.
- 37- هريبرت فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ط.5، القسم الأول، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العربي، دار المعارف، القاهرة ، 1966.
- 38----- أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، ط.3، دار المعارف، الإسكندرية.
- 39- هريبرت ويلز جورج، موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، 2002، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 40- ويلتر (ج)، الهرطقة في المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، بيروت.
- 41- هيلستر ورن، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية،
- 42- يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم، محمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1999، القاهرة.
- III-المراجع باللغة الأجنبية:

1-Christopher.S. Celenza, the Italian Renaissance and the origins of the humanities, an intellectuelle history 1400-1800, Combridge university Press, U.K., 2021,

- 2- Brett Edward Whalen, the tow Powers, the Papacy, the Empire, the Struggle for Sovereignty in the thirteenth century, 2019, University of Pennsylvania Press, Philadelphia.
- Jonathan harris, Greek emigres in the West, 1400-1520, British Library, 1995.
- 3- Heinrich Fichtenau, the Carolingian Empire, the age of Charlemagne, translated by, Peter Munz, Harper and Row Publishers, New York, Evanston.
- 4- Ian Wood, the Merovingian Kingdoms 450-751, Longman Publishing, London, New York, 1994,
- 5- Walter Ullmann, Short history of Papacy in middle ages, Routledge, 2003, New York and London.

IV-الأطروحات:

- مصعب حمادي نجم الزيدي، الاستيطان الصليبي في بلاد الشام، مملكة بيت المقدس أنموذجا، أطروحة دكتوراه، إشراف، د/ ناصر عبد الرزاق الملا جاسم، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005.

V-المقالات والمدخلات:

- 1- حاج عبد القادر يخلف، التاريخ الإسلامي لصقلية في العهد الأغربي، عصور الجديدة، العدد، 11، 12، فبراير، 1434-1435هـ/2013-2014م
- 2- الغوري سيد عبد الماجد، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، مؤتمر الحج، المعاني الحضارية في الإسلام، رابطة العالم الإسلامي، مشعر منى، مكة المكرمة، 11 ذو الحجة 1440هـ/12 أغسطس 2019.

V-الموسوعات:

- 1- الموسوعة العربية العالمية، ط.2، العبيكان للنشر، مج.27، (د.ب.ن).
- 2- Encyclopedia, Key figures in Medieval Europe, edit., Richard, K. Emmerson, Routledge, New York, London, 2006,.
- 3-Encyclopedia of the Medieval World, 2005, U.S.A.

**4–Encyclopedia of Medieval Philosophy, philosophy between
500–1500, Edit., Henrik Lagerlund, Springer, London, N.Y.,
2011,**

فهرس الموضوعات

5-3	برنامج المادة
5	مقدمة
	المحاضرة 1: الأوضاع السياسية والعسكرية خلال العصور الوسطى
6	1- سقوط العاصمة روما وأثره على مركزية الحكم
6	2- توسع الجرمان في الغرب اللاتيني
	3- تأسيس كيانات سياسية جرمانية
7	أ- الأسرة الميروفنجية (482-751م)
9	- مصير المملكة بعد تقسيم الميراث
9	- نفوذ نظار القصور
	- بيبين الثاني (هرستال) ونفوذه
10	- توسعات شارل مارتل
11	- دور بيبين القصير في إنهاء حكم الميروفنجيين
	ب- الأسرة الكارولنجية (751-987م)
	- الكارولنجيون في عهد شارلمان (768-814م)
14	- العلاقات مع المسلمين
15	- تنويع شارلمان إمبراطورا على الغرب اللاتيني
18	- تقسيم الإمبراطورية وعقد معاهدة فردان 843م

19	-تحرك قبائل الفايكينغ
	المحاضرة 2: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية خلال العصور الوسطى
22	1-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية
24	2-الأوضاع الدينية
	المحاضرة 3: الأوضاع العلمية والثقافية
28	-الأوضاع العلمية والثقافية
28	1-النهضة في عهد شارلمان (768-814م)
30	2-النهضة في عهد الملك أوتو الأول (936-973م)
	المحاضرة 4: النهضة الأوروبية الحديثة (المفهوم والجذور)
33	1-مفهوم النهضة
34	2-الجذور التاريخية للنهضة الأوروبية
	المحاضرة 5: عوامل قيام النهضة الأوروبية
36	1-اتصال الغرب اللاتيني بمراكز الحضارة الإسلامية
54	2-شخصية أعلام النهضة
54	3-انتقال بعض المفكرين من اليونان باتجاه إيطاليا
56	4-النشاط التجاري وظهور المدن
57	5-اختراع آلة الطباعة
57	6-انحلال البابوية وضعف الكنيسة
57	7-الحركات الدينية والعلمانية المناهضة للكنيسة
	المحاضرة 6: إيطاليا مهد النهضة الأوروبية
59	1-الرخاء الاقتصادي في مدن شبه الجزيرة الإيطالية
60	2-إحياء التراث الكلاسيكي

60	3-الحالة السياسية لشبة الجزيرة الإيطالية
60	4-الموقع الإستراتيجي لإيطاليا
61	5-طبيعة الفرد الإيطالي
61	6-إيطاليا مقر البابوية
62	7-إنشاء الأكاديميات والمكتبات
	المحاضرة 7: مظاهر وخصائص النهضة الأوربية
64	1-إحياء الدراسات الكلاسيكية
65	2-جمع المخطوطات القديمة ودراستها
65	3-ظهور اللغات الحديثة
65	4-الاهتمام بالآثار وعلم التاريخ
67	5-الفنون الجميلة
68	6-التمتع بملذات الحياة
68	7-ظهور شخصية الفرد الأوربي
69	8-انحلال النظام الإقطاعي وزواله
	المحاضرة 8: نتائج النهضة الأوربية
70	1-ظهور النظريات السياسية
71	2-ظهور الدول الحديثة
71	3-حركة الكشف الجغرافية
72	4-الصراع المذهبي
72	5-تطور البحث العلمي
	المحاضرة 9: الحركة الإنسانية
74	1-في إيطاليا
78	2-في فرنسا

79	3-في ألمانيا
79	4-في إنجلترا
81	5-في شبه الجزيرة الأيبيرية
	المحاضرة 10: حركة جون ويكلف الإصلاحية
83	1-مولده وحياته
85	2-رد فعل الكنيسة تجاه آراء ويكلف
86	3-أثر فكر جون ويكلف الإصلاحي
	المحاضرة 11: حركة جون هس الإصلاحية
88	1-مولده وحياته
89	2-أفكار جون هس
90	3-رد الفعل تجاه جون هس
91	4-تأثير فكر جون هس على المجتمع البوهيمي
	المحاضرة 12: حركة سافونا رولا الإصلاحية
94	1-مولده وحياته
94	2-الدعوة والإرشاد
96	3-موقف البابا من سافونا رولا
97	4-إعدام سافونا رولا
	المحاضرة 13: حركة مارتن لوثر الإصلاحية
98	1-مولده وحياته
99	2-موقف مارتن لوثر من صكوك الغفران
102	3-موقف الإمبراطور شارل الخامس من مارتن لوثر
104	4-وفاته
105	الخاتمة

111-107	الملاحق
116-112	قائمة المصادر والمراجع
121-117	فهرس الموضوعات